بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم . أما بعد .

فإن الله أنزل القرآن الكريم كتاب هداية للبشرية في جميع شؤونها، قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ الإسراء: ٩ . وما من أمر إلا وللقرآن الكريم إسهام في بيانه تأصيلا أو تفصيلا، ذلك أن الله تعالى يقول: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ النحل: ٨٩ وقال: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ الأنعام: ٣٨. فالله سبحانه أنزل هذا الكتاب فمنه واضح البيان، ومنه ما يحتاج إلى إعمال نظر، قال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ ص: ٢٩ ولكنه سهل بيانه ومعرفته بحيث لا تمتنع معرفته بإطلاق؛ ذلك لأن القرآن ميسر للذكر، كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ القمر: ١٧. وهذا يعني أن يبحث الناس وينظروا في القرآن الكريم لاستخراج الهدايات منه وإعمالها في الحياة .

ومن المعلوم أن القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين، كما قال تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ

﴿ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ الشعراء: ١٩٣ – ١٩٥ [١]، فهو يَستعمل الأساليب العربية في الحقائق والمجازات، إفرادا وتركيبا، ولذلك ينبغي عند النظر فيه أن تراعى تلك الأساليب حال الفهم والإدراك، لأنها تعين على فهم مرامي القرآن ومقاصده. "قال مجاهد: لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالما بلغات العرب"[٢].

وترتيبا على ذلك فإن استنباط المفاهيم القرآنية يحتاج إلى تأمل دقيق في مراميه العامة والخاصة، ليتم النفاذ من خلال ذلك إلى النتائج النهائية التي هي مراجع للمسائل كلها.

ومعرفة مسألة المآلات في القرآن مسألة مهمة وجوهرية؛ ذلك أن النظر في العواقب والمآلات التي يفضي إليها التطبيق يعتبر قسيم الفقه في الدين[٣].

كما أن اعتبار المآلات يعد أحد القواعد التي تدور عليها الفتوى "فعلى المفتي النظر إلى مآلات الأقوال والأفعال في عموم التصرفات، ومن هنا فالمجتهد حين يجتهد ويحكمْ، عليه أن يقدِّر مآلات الأفعال التي هي محل حكمه وإفتائه، وأن يقدر عواقب حكمه

---

(١) انظر مثل هذا الكلام في كتاب: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، لمؤلفه: أ. د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي،طبع بإذن رئاسة إدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد في المملكة العربية السعودية برقم ٩٥١/ ٥ وتاريخ ١٤٠٦هـ،الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ- ١٩٨٦م (٨٩/١).

(٢) البرهان في علوم القرآن، لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، و: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود الألوسي، تحقيق: على عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١٤١٥ هـ. (٥/١). ولم أجد هذا الكلام في تفسير مجاهد المطبوع، ولا في غيره من التفاسير التي اطلعت عليها.

(٣) في الاجتهاد التنزيلي: الدكتور بشير بن مولود جحيش (كتاب الأمة) رقم: ٩٣، المحرم ١٤٢٤هـ، السنة الثالثة والعشرون، من تقديم الاستاذ: عمر عبيد حسنة، ص١٢ .

وفتواه ولا يعتقد أن مهمته تنحصر في إعطاء الحكم الشرعي "[1]. فقط، فالنظر المآلي مهم لمعرفة تنزيل الأقوال والأفعال.

أهمية البحث:

تأتي أهمية البحث في المآلات والحاجة إليه في عصرنا هذا للأسباب التالية:

- وزن البرامج والأفكار المطروحة في مجالات الحياة المختلفة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية، وكذلك الفهوم الشرعية التي يقول بها الفقهاء، لوزنها بميزان المآلات والمقاصد.
- تصويب الرؤية الاستشرافية للمستقبل، حيث تتدافع الأمم في جميع الميادين، وتحتاج الأمة المسلمة في استشرافها ذاك أن تستند إلى المآلات الشرعية، حتى لا تبتلى بقصر النظر وما يترتب عليه.
- وضع الأسس العامة العلمية والعملية التي ينبني عليها وضع الخطط والبرامج وتقييم الأعمال والأفكار، وهذا أمر من الأهمية بمكان.
- فتح الآفاق في دراسة هذا الموضوع فهو موضوع مهم وعملي وكثير التطبيقات والتفاصيل، تحتاجه الحياة بمختلف مجالاتها.

قال الشاطبي في الموافقات: "النظر في مآلات الأفعال معتبر مقصود شرعًا، كانت الأفعال موافقة أو مخالفة، وذلك أن المجتهد لا يحكم على فعل من الأفعال الصادرة عن

([1]) الأصول العامة والقواعد الجامعة للفتاوى الشرعية، جمع : الدكتور حسين بن عبد العزيز آل الشيخ، إمام وخطيب المسجد النبوي الشريف، والقاضي بالمحكمة الشرعية بالمدينة النبوية ١٤٢٦ هـ ، ص ٢٢.

المكلفين بالإقدام أو بالإحجام إلا بعد نظره إلى ما يؤول إليه ذلك الفعل"[١]..

وبيان المآلات من خلال القرآن الكريم هو ما قصدنا إليه في هذا البحث، الذي أسميناه:

(من فقه النظر المآلي في القرآن الكريم).

ولا أدعي أنني جمعت الموضوع كله أو استقصيته، وإنما أشرت إليه، وبحسبي أني ركزت نقطة الضوء لتبصِّر باحثا أو ترشد مهتديا، ذلك أن النظر السطحي قد يكون أحيانا كثيرة ذا أبعاد غير نافعة بل قد تكون سبيلا للهلاك إذا اجتُزِأت الأدلة وقصِّر في استقصائها وسَبْر أغوارها، وكثيرا من المعاني لا تدرك إلا إذا استوعبت في إطار نظرة مآلية جامعة، يتبين من خلالها مقاصد الشارع والنتائج المؤدية إليها، والآثار التي تترتب عليها.

ومن هنا تأتي أهمية البحث في هذا الموضوع.

أهداف البحث:

القصد من البحث هو تحقيق الأهداف التالية:

١/ بيان أهمية مسألة المآلات واعتبارها.

٢/ الإسهام في ترشيد فهم النصوص، في ضوء النظر المآلي الكلي.

٣/ توضيح اهتمام القرآن الكريم بالموضوع، كجانب تأصيلي.

٤/ لفت نظر الباحثين إلى الموضوع.

الدراسات السابقة:

لم أجد بحثا علميا مستقلا- بحسب اطلاعي المتواضع- في موضوع المآلات في

---

(١) الموافقات في مقاصد الشريعة، للإمام : إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م (٥/ ١٧٧).

القرآن الكريم، كبحث علمي محكّم، ولكن الإشارات إليه في كتب التفسير كثيرة، كما توجد إشارات أيضا في بعض كتب علوم القرآن[١].

وأنبه هنا إلى أن الموضوع قد بحث من ناحية أصولية، وقد اطلعت على دراسة أصولية متمكنة في الموضوع وهي عبارة عن رسالة ماجستير بعنوان: (اعتبار المآلات ونتائج التصرفات)، لعبد الرحمن السنوسي، ولكن الباحث أسهب في الأدلة العقلية والأقوال المنقولة، وكان مقلا في الاستدلال من السنة، كما كان مقلا أكثر في الاستدلال من القرآن الكريم، وكان هدفه إثبات اعتبار المآلات من خلال تطبيقاتها الفقهية في الأحكام..

ومعلوم ما هو في كتب أصول الفقه في هذا الموضوع عموما، حيث تطرقتْ كتب الأصول إلى الموضوع كثيرا، وبحثَتْه من ناحية أصولية، قديما وحديثا، ذلك أن قاعدة اعتبار المآلات هي إحدى مباحث الفقه وأصوله.

ولكنني هنا أركز على جانب الأدلة القرآنية وتأصيلها لاعتبار المآلات، ولعل الفرق بين البحث الأصولي والبحث القرآني للمسألة هو: أن البحث الأصولي يعتني بتطبيقاتها العامة والبحث القرآني – الذي أرمي إليه– يعتني بتأصيل النظر المآلي ووجود اعتباره في النص القرآني واستدلالاته في الأحكام وغيرها من الأمور من خلال القرآن. وإن كان بحثي هذا في خطته يقترب من خطة البحث الأصولي شكلا، إلا أني أعتقد أنه يفارقه من حيث الاستدلال والدلالات، واتجاهات المضامين، والاختصاص.

وأهم كتب الأصول التي تطرقت للموضوع كتاب: الموافقات للإمام الشاطبي،

---

(١) مثل: دفع إيهام الاضطراب عن معاني آيات الكتاب لمحمد الأمين الشنقيطي، وكيف نتعامل مع القرآن، للقرضاوي، وغيرها.

وشروحه. وكتاب المقاصد لابن عاشور، وغيرها من الكتب والأبحاث الأصولية المقاصدية.

منهج البحث:

اتبعت في بحثي هذا منهج الاستقراء والاستنباط، حيث قمت بقراءة القرآن الكريم بتمعن وروية، أكثر من مرة، واستنبطت من خلال ذلك ما أعتقد علاقته بموضوع البحث من الآيات القرآنية- بقدر الاستطاعة-، ثم استخرجت الدلالات التي تصب في الموضوع، متتبعا أقوال المفسرين خاصة وأقوال العلماء عامة، مضيفا إلى ذلك ما يخدم الموضوع من أقوال الأصوليين والفقهاء..

خطة البحث:

وقد قمت بتقسيم الموضوع إلى مقدمة و ثلاثة مباحث وخاتمة، بحسب الخطة التالية:

المقدمة، وفيها:

أهمية البحث وأهدافه ومنهجه وخطته .

المبحث الأول: مفهوم المآلات من خلال القرآن الكريم وأهميتها وأنواعها ومراتبها.

وفيه المطالب التالية:

المطلب الأول: مفهوم المآلات.

المطلب الثاني: أهمية معرفة المآلات.

المطلب الثالث: أنواع المآلات.

المطلب الرابع: مراتب المآلات.

المبحث الثاني: مصطلحات ترتبط بالمآلات.

وفيه المطالب التالية:

المطلب الأول: المقاصد.

المطلب الثاني: الذرائع والوسائل.

المطلب الثالث: الموازنات والأولويات.

المبحث الثالث: صور ذكر المآلات في القرآن الكريم.

وفيه المطالب التالية:

المطلب الأول: الألفاظ والتقريرات.

المطلب الثاني: التعليلات المآلية.

المطلب الثالث: إطلاقات عامة تقتضي النظر المآلي.

الخاتمة : وفيها أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: مفهوم المآلات من خلال القرآن وأهميتها وأنواعها ومراتبها.

المطلب الأول: مفهوم المآلات

أ/ المآل لغة :

المآل: من آلَ يؤُول، إذا رَجَع[١].

والتأوُّل: طلب مآل الشيء. والمآل: إما مصدر ميمي بمعنى اسم المفعول، أي طلب ما يؤول إليه الشيء، أو اسم مكان أي طلب الموضع الذي يؤول إليه الشيء أي يرجع[٢].

وقال في تاج العروس: المآلُ : المرجعُ[٣]. ويجمع المآل على مآلات[٤].

ب/ المآل اصطلاحا: من خلال المعاني اللغوية للمآل يمكن أن نستخلص التعريف الاصطلاحي التالي له:

المآل هو نتيجة الشيء أو غايته التي يصير إليها، ومستقره الذي ينتهي إليه على أي نحو، وفق مقدمات مقتضية لذلك[٥].

ج/ التأويل لغة: وسأذكره هنا لبيان ما يجمعه مع المآل.

---

(١) جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، القاضي عبد رب النبي بن عبد رب الرسول الأحمد نكري، عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص. دار الكتب العلمية، لبنان ، بيروت ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م. (٣ / ١٣٩).

(٢) جامع العلوم في اصطلاحات الفنون (١ / ١٨٢).

(٣) تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمّد بن عبد الرزّاق، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية (٢٨ / ٣٨)

(٤) بحسب تعبيرات العلماء والباحثين..

(٥) لم أقف على تعريف اصطلاحي للمآل، فاستخلصت التعريف المذكور من المعاني اللغوية، واستأنست بما جاء في كتاب: اعتبار المآلات ونتائج التصرفات < دراسة مقارنة في أصول الفقه ومقاصد الشريعة > لعبد الرحمن بن معمر السنوسي، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢٤هـ. ص١٩.

فـ" التأْويل هو " تفعيل" من أَوَّل يُؤَوِّل تأْويلاً، و آل يَؤُول أَي رجع وعاد"[١].

وتأويل الكلام هو عاقبته وما يؤول إليه[٢]، وفي حديث ابن عباس رضي اللّه عنهما «**اللهم فقّهه في الدين وعلمه التأويل**»[٣]، هو من آلَ الشيء يؤول إلى كذا : أي رجع وصار إليه[٤].

"والغالب في القرآن إطلاق التأويل على حقيقة الأمر التي يؤول إليها كقوله: ﴿هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَايَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ﴾ يوسف: ١٠٠، وغيرها من الآيات." [٥].

وجاء في جامع البيان: "وأما معنى"التأويل" في كلام العرب، فإنه التفسير والمرجع والمصير.

وأصلهُ من:"آل الشيء إلى كذا" – إذا صار إليه ورجع "يَؤُول أوْلا" و"أوَّلته أنا" صيرته إليه.

وقد قيل إنّ قوله:(وَأَحْسَنُ تَأْوِيلا) سورة النساء: ٥٩، سورة الإسراء: ٣٥. أي

---

(١) انظر: لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي ابن منظور، دار صادر ، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٤ هـ (٣٢/١١).

(٢) انظر: معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م (٨١، ٨٢).

(٣) الحديث في مسند الإمام أحمد، قال محققه: إسناده قوي على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين غير عبد الله بن عثمان بن خثيم. انظر: مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م (٢٢٥/٤) رقم: ٢٣٩٧.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي و محمود محمد الطناحي (١ / ١٩٢) .

(٥) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت، لبنان، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥م. (١٨٩/١)

جزاءً. وذلك أن "الجزاء" هو الذي آل إليه أمر القوم وصار إليه"[١].

هذه المعاني هي اللغوية للتأويل، ونلحظ منها: أن التأويل يرجع في أصل معناه إلى " آل"، أو " أوَّل"، فإذا كان من " آل" فهو من المرجع والمصير، وإذا كان من "أوَّل" فهو من التفسير والبيان.

د/ التأويل اصطلاحا:

وأما المعنى الاصطلاحي للتأويل، فقد ذكر العلماء من معانيه، أنه: "الحقيقة التي يؤول إليها الكلام"[٢]. أو هو " نقْل ظاهر اللفظ عن وضعه الأصلي إلى ما يحتاج إلى دليلٍ، لولاه ما تُرك ظاهر اللفظ"[٣]. أو هو "صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به"[٤].

ونلاحظ من كلام اللغويين والمفسرين أن المآل يلتقي مع التأويل في معانيه اللغوية، كما أنه يلتقي معه في المعنى الاصطلاحي الأول، مما ذكرتُ، ويؤيد ذلك ما جاء في معاني قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ﴾ الأعراف: ٥٣. وغيرها من الآيات التي ذكرت التأويل، حيث بيَّن كثيرٌ من

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لمحمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط١،مؤسسة الرسالة.١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، (٦ / ٢٠٤،٢٠٥) .

(٢) انظر: مجموع الفتاوى، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، نشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، (٥٦/٣) وانظر: ما جاء في أضواء البيان أعلاه، وانظر: مباحث في علوم القرآن، لمناع القطان، طبعة مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م، ص ٢٢٣. وغيرها..

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر (١ / ١٩٢) .

(٤) التفسير والمفسرون، الدكتور محمد السيد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة (١/ ١٢)

المفسرين أن التأويل يراد به بيان حقيقة ما يؤول إليه الأمر. ومن المعلوم أن المعنيين الاصطلاحيين الآخرين للتأويل غير مرادين هنا، وقد قرر العلماء في مواضع عديدة أنهما لم يكونا يطلقان عند السلف على التأويل البتة، كما أن التأويل في القرآن لا يراد به ذلك[١].

ومن هنا فإن المآل والتأويل يتساويان في بعض المعاني اللغوية، كما يلتقي المآلُ والتأويل في أحد المعاني الاصطلاحية للتأويل وهو قولهم أن التأويل هو: (الحقيقة التي يؤول إليها الكلام).

ويفارق التأويلُ المآلَ في بقية المعاني الاصطلاحية.

ويمكن أن نستخلص من سياق الكلام ومضمونه أن المآل هو مرجع الأمر ونهايته ومستقره – سواء حال كونه مصدرا أو اسم مكان– والتأويل هو بيان للمآل وتفسير له. وقد جاء في لسان العرب ما يؤيد هذا حيث ذكر أن : "التأْويل تفسير ما يؤول إِليه الشيء"[٢] .

ولم تأت كلمة المآلات في القرآن الكريم بلفظها، ولكن جاء معنى المآل في ألفاظ مشتقة من الكلمة، منها:

(تأويلا، موئلا)، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ النساء: ٥٩، وقوله: ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ ﴾ الأعراف: ٥٣. وقوله: ﴿ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَايَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي

---

(١) انظر مثلا: دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية، تحقيق د. محمد السيد الجليند، ط: مؤسسة علوم القرآن، ١٤٠٤هـ، دمشق (١/٣٣٠).

(٢) لسان العرب (١١ / ٣٢)

حَقًّا ﴾ يوسف: ١٠٠. وقوله: ﴿ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ الإسراء: ٣٥. وقوله:﴿ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴾ الكهف: ٥٨. وما عدا ذلك مما ورد من مشتقات كلمة تأويل، مما له دلالة من طريق الإشارة، كما في كلمة آل، كـ(آل عمران، وآل فرعون، ونحوها..) فآلُ الإنسان ما يجتمعون معه في اختصاص ما[1]، وهذا معناه أنهم يرجعون معه إلى أصل واحد.

وهناك كلمات تدل على المعنى المراد بطريق اللزوم، ولكن تشتق من كلمات أخرى، منها: مآبا، كما في قوله تعالى:﴿ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾ آل عمران: ١٤ ، وقوله تعالى: ﴿ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴾ النبأ: ٢٢ ﴿ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴾ النبأ: ٣٩. وكلمة: مَرَدًّا، كما في قوله تعالى : ﴿ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴾ مريم: ٧٦. وكلمة عقبا، وعاقبة في مواضع كثيرة، كما في قوله تعالى: ﴿ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴾ الكهف: ٤٤. وكلمات: مرجعهم، يرجعون، راجعون، والمصير،.. إلى غير ذلك من الكلمات التي لها معنى قريبا من معنى كلمة "مآل" المقصودة بالبحث..

---

(1) انظر: الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري، تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، نشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم»، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ ص٢٨١.

المطلب الثاني: أهمية معرفة المآلات

لمعرفة مآلات الأشياء بأنواعها أهمية كبيرة في الحكم عليها من حيث القبول والرد، ومن حيث الجواز وعدمه ومن حيث الإقدام والإحجام، ولذلك فقد حذر الله من بعض الأعمال معللا ذلك التحذير بما يؤول إليه أمر تلك الأعمال إما في الدنيا وإما في الآخرة، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ هود: ١١٣. لأن الركون استناد فيه رضا مآله جعل أعمال الظلمة مشروعة — ولو ظاهرا – كما أن فيه تخذيل عن مقارعة الظلم، وتمكين له، وقد قيل: من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصي اللّه تعالى في أرضه[1]؛ لأن المعصية من مآلات بقاء الظالمين، والظلم معصية أيضا.

فمعرفة مآل العمل تدفع إليه أو تمنع منه، ولذلك قال تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ الكهف: ١١٠. والآية ترمي إلى أنه ينبغي النظر بأي صورة من العمل يلقى الإنسان ربه، فعليه أن ينظر في مآل عمله الذي سيكون عليه يوم يلقى ربه ولا يغتر بعاجل ثناء الناس ورؤيتهم لعمله.

والمآلات هي غايات الأعمال وإن لم تكن مقصودة عند العامل وقت ابتداء العمل، أو كانت مجهولة له، ولكن يحكم على الأعمال بنتائجها، والعاقل هو من يتدبر المصائر والنتائج قبل مباشرة الفعل؛ لأن النظر في مآلات الأفعال مقصود شرعًا في حال الفعل والترك، انظر مثلا في قوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

---

(١) روح المعاني (٦ / ٣٤٨)

البقرة: ٢١٦. "معنى الآية: أنه ربما كان الشيء شاقا عليكم في الحال، وهو سبب للمنافع الجليلة في المستقبل وبالعكس، ولذلك حسن شرب الدواء المر في الحال لتوقع حصول الصحة في المستقبل، وحسُن تحمل الأخطار في الأسفار لتوقع حصول الربح في المستقبل، وحسُن تحمل المشاق في طلب العلم للفوز بالسعادة العظيمة في الدنيا وفي العقبى"[١].

ومثلها قوله تعالى: ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾ النساء: ١٩.

وَالمقصُود مِن هَذا: الإِرشَادُ إِلَى إِعمَاق النَّظر وتغَلغُل الرَّأي في عَوَاقب الأَشيَاء، وعَدم الاغتِرَار بِالبوَارق الظَّاهرة[٢].

ولعل ما كرهت النفس يكون أصلح في الدين وأحمد في العاقبة، وما أحبته يكون بضد ذلك[٣]، فالعاقل من نظر في مآلات الأمور وعواقبها قبل الإقدام عليها أو الترك لها.

ومن هذا الباب قوله تعالى: ﴿وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۗ﴾ البقرة: ١٩١. وقوله تعالى: ﴿وَٱلۡفِتۡنَةُ أَكۡبَرُ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۗ﴾ البقرة: ٢١٧. فالفتنة أشد من القتل وأكبر من القتل لما يصير فيها من الفساد الكبير والعنت والمشقة، وقيل: "المراد من الفتنة الكفر بالله تعالى، وإنما سمي الكفر فتنة لأنه فساد في الأرض يؤدي إلى الظلم والهرج، وفيه الفتنة، وإنما جعل الكفر أعظم من القتل، لأن الكفر ذنب يستحق صاحبه به العقاب الدائم، والقتل ليس كذلك، والكفر

---

(١) مفاتيح الغيب (٦ / ٣٨٥).

(٢) التحرير والتنوير«تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس (٤ / ٢٨٧) .

(٣) تفسير البحر المحيط (٣/ ٥٧٠).

يخرج صاحبه به عن الأمة، والقتل ليس كذلك فكان الكفر أعظم من القتل "[١] .

ومنه قوله تعالى: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِۚ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴾ الأحزاب: ٣٢، نهاهن عن لين الكلام؛ لئلا يطمع أهل الخنى فيهن[٢]، وفي الآية إرشاد إلى قطع طريق الشر والفساد الذي ينتج عن مثل خضوع المرأة بالقول، كما أن في الآية تقرير يؤكد أن المرض الموجود مسبقا في القلوب إذا وجد بيئة مناسبة ينتشر ويستفحل، ومن هنا كان النهي عن المقدمات نظرا لما تؤدي إليه من مآلات.

ونخلص من هذا إلى أن معرفة المآلات لها أهمية كبيرة، وذلك لما يلي:

- للموازنة بين الأعمال والأشياء.
- لمعرفة كيفية التعامل مع الأمور من حيث الإقدام والإحجام.
- لأنها جزء من المقاصد الشرعية.
- لأنها تيسر الاختيار وتصوبه.
- لأنها جزء من فقه الواقع، ومن فقه التطبيق والتنزيل.
- لأن فيها تقليل للأخطاء.

المطلب الثالث: أنواع المآلات

المآلات إما مباحة أو محرمة، ويمكن أن نقول: صحيحة أو غير صحيحة، وفاسدة أو صالحة.

---

(١) مفاتيح الغيب (١ / ٧٩٩)، ومثله جاء في :لباب التأويل. انظر: (لباب التأويل في معاني التنزيل)، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، تحقيق: محمد على شاهين. دار الكتب العلمية . بيروت، ١٤١٥هـ،(١ / ١٢٢).

(٢) أضواء البيان (١٨ / ٥٠)

وهذا التنوع بحسب ما يظهر منها بعد وقوعها، ولكن يمكن تقسيمها بصورة أخرى من حيث ابتدائها ونشوئها.

والابتداء يكون من حيث المقاصد والأسباب، فهي من حيث المقاصد:

- مآلات مقصودة، بمعنى أن المآل يأتي وفق المقصد. سواء كان فاسدا أو صالحا.
- مآلات غير مقصودة، بمعنى أن المآل يأتي غير موافق للمقصد، سواء كان فاسدا أو صالحا.

وهي من حيث الأسباب، سواء كانت مقصودة أو غير مقصودة:

- مآلات مسببة، ويقع المآل فيها وفق الأسباب.
- مآلات غير مسببة، ويقع المآل فيها غير موافق للأسباب.

ومن هنا فإن المقاصد والأسباب تحدد مسار اعتبار المآلات كما تحدد مشروعيتها وحرمتها من جانب، كما أن المآلات لها دور في تحديد ذلك – أيضا- من جانب آخر.

فمن أمثلة هذا الباب، ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرۡجِعُهُمۡ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ الأنعام: ١٠٨.

سب آلهة المشركين اعتبره بعض المسلمين عملا صالحا، ولكنه كان سببا لسب الخالق سبحانه ولذلك جاء النهي عنه منعا لهذا المآل السيئ، فنهى سبحانه المؤمنين أن يسبوا أوثان المشركين؛ لأنه علم أنهم إذا سبوها نفر الكفار وازدادوا كفرا. و "حكم الآية باق في هذه الأمة على كل حال؛ فمتى كان الكافر في منعة وخيف أن يسب الإسلام أو النبي عليه السلام أو الله عز وجل، فلا يحل لمسلم أن يسب صلبانهم ولا دينهم ولا

كنائسهم، ولا يتعرض إلى ما يؤدي إلى ذلك؛ لأنه بمنزلة البعث على المعصية"[١]. وهذا من المآل الذي يقع خلاف المقصد، فمقصد المؤمنين هو الطاعة ولكن ذلك يؤول إلى مفسدة أرجح من هذه المصلحة فنهوا عنها.

ومن ذلك نهي آدم وحواء عن القرب من الشجرة، مع أن القرب منها أمر غير فاسد في الظاهر، ولكن لأنه سبب يوصل إلى المعصية، وهي الأكل منها، والمعصية ظلم كبير للنفس، ومآل ذلك الخروج من الجنة، نُهِياَ عن القرب منها، كما قال تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ البقرة: ٣٥ - ٣٦. فنهى الله آدم وحواء عن القرب من السبب لأنه يؤدي إلى المسبب، وإنما علق النهي بالقربان منها، مبالغة في تحريم الأكل ووجوب الاجتناب عنه، لأن القرب من الشيء يقتضي الألفة. والألفة : داعية للمحبة، ومحبة الشيء تعمي وتصمّ. فلا يرى قبيحاً، ولا يسمع نهياً. والسبب الداعي إلى الشر منهيّ عنه، كما أن السبب الموصل إلى الخير مأمور به[٢]. ومن هنا كان النهي عن السبب أقوى في الزجر من النهي عن المسبب، "ولو أنه قال : ولا تأكلا من هذه الشجرة لكان مباحا لهما أن يقتربا منها فتجذبهما بجمال منظرها ويقتربا من ثمارها فتفتنهما برائحتها العذبة ولونها الجذاب، حينئذ يحدث الإغواء، وتمتد أيديهما تحت هذا الإغراء إلى الشجرة

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة (٧ / ٦١). وانظر: الجامع في أسباب النزول، جمع وترتيب وتحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، طبعة مؤسسة الرسالة،ط١، ٢٠١٠م، ص ٢٥٥، فقد ذكر السبب بمعناه.

(٢) محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٨ هـ (١/ ٢٩٢).

ليأكلا منها. ولكن الله تعالى يعلم أن النفس البشرية إذا حرم عليها شيء ولم تحم حوله كان ذلك أدعى ألا تفعله"[١].

ومن ذلك بيان أن وسوسة الشيطان لآدم وحواء كان القصد منها أن تبدو سوآتهما، وبيان أن اتباع آدم وحواء لوسوسة الشيطان كان سببا لسقوط الزينة واللباس عنهما: كما قال تعالى: ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا ﴾ الأعراف: ٢٠. "فاللام في قوله "ليبدي" لام التعليل، أي أن هدف وسوسته لهما أن يبدي لهما سوآتهما، ويجوز أن تكون لام الصيرورة أو العاقبة"[٢]، فجاء المآل موافقا للمقصد الشيطاني، كما كان اتباعهما للشيطان من أسباب هذا المآل أيضا، قال تعالى:﴿ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ الأعراف: ٢١ - ٢٢.

ومن ذلك النهي عن قرب الخمر، كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ المائدة: ٩٠ - ٩١. ففي الآيات نهي عن قرب الخمر يفهم من الأمر بالاجتناب، لما فيه من زوال للعقل والذي بموجبه تقع كثير من المآثم التي علل بها الاجتناب، ومنها: وقوع العداوة والبغضاء والصد عن ذكر الله وعن الصلاة، وغيرها مما قد ذكر في تحريم الخمر.

فهذا التحريم من الشارع تقدمه بيان وإيضاح لأسبابه، رفقا بالأمة واستئناسا

---

(١) تفسير الشعراوي(الخواطر) ،محمد متولي الشعراوي، مطابع أخبار اليوم، عام ١٩٩٧م (١/٢٦٤) .

(٢) إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش، دار الإرشاد للشئون الجامعية، حمص، سورية، (دار اليمامة ، دمشق ،بيروت) ، (دار ابن كثير – دمشق – بيروت). الطبعة : الرابعة، ١٤١٥ هـ (٣ / ٣١٩) .

لأنفسهم، فلم يحدث النهي إلا بعد بيان الأسباب الداعية له، وذلك لأن الأسباب التي تؤدي إلى الفساد مستقبحة، وإذا استقبحت النفوس المسببات استقبحت الأسباب[١]. وكما أن مآل الاجتناب الفلاح، فإن مآل عدم الاجتناب ما ذكر من المفاسد الخاصة والعامة التي هي من مقاصد الشيطان وأهدافه. وفي هذا المثال: بيان لتأثير الأسباب في المآلات.

ومن أمثلة هذا الباب أيضا: الإرشاد إلى أن الأعمال تقوَّم بمقاصدها وبمآلاتها: فمثلا القيام بالعبادات أمر مطلوب، ولكن العبادات تبعا للنية والقصد والمآل، فإذا كانت بنية صادقة ومآل حسن قبلت، وإن قامت على الرياء والسمعة والفساد ردت، ولذلك ذم الله حال المنافقين لما يقصدون به من الخداع في العبادات والأعمال، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾ النساء: ١٤٢ - ١٤٣. ففي الآية إرشاد إلى أن العمل ينبغي أن يكون دافعه سليما صحيحا حتى يكون مآله طيبا مقبولا، فعمل المنافقين القائم على الخداع والتذبذب آل إلى الضياع والضلال. وهنا ارتباط بين المقصد وهو الخداع، والعمل وهو الصلاة غير التامة والمآل وهو مخادعة الله لهم وإضلاله إياهم.

ومن الأمثلة – ايضا – تقرير الله تعالى بأن عمل المفسدين مآله الفساد والبطلان والاضمحلال، فقال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ يونس: ٨١. فالله يجعل العمل الفاسد مضمحلا ذاهبا لا يصلح للبقاء، وهذا مآله الطبيعي، "وليس المرادُ بعدم إصلاحِ عملِهم عدَم جعل فسادِهم

---

(١) انظر: التحرير والتنوير (٥/ ١٩٦).

صلاحا ...، والجملةُ تعليلٌ لما سبق من قوله (إِنَّ اللهَ سَيُبْطِلُهُ) "[١]، فهو سيبطله لأنه فساد وعاقبة الفساد الاضمحلال، وهذا فيه ارتباط بين العمل والمآل.

ومن أمثلة ذلك- أيضا- ما بينه الله في مواضع كثيرة على أن لكل عمل مآل يصير إليه يعبر عنه بالجزاء – ثوابا أو عقابا- كما في قوله تعالى: ﴿ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ في أكثر من موضع من القرآن، وذلك بعد الأمر بالعمل، فذلك فيه دليل على المجازاة [٢] على العمل من خلال التعريف بما آل إليه من مآل، وليس المراد الإعلام بنفس العمل، إذ لا معنى أن ينبأ الإنسان بعمله بعد أن يكون قد عمله هو، إلا إذا حملنا المعنى على أنه سينبئهم بحقيقة عملهم، وذلك في الحقيقة هو مآل عملهم وما صار إليه.

ومن ارتباط المآلات بالأسباب ما يتبين من مُؤدَّى قوله تعالى: ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾الأعراف: ١٢٩ ، من التحذير من أن يعملوا ما لا يرضي الله تعالى، والتحريض على الاستكثار من الطاعة، مراعاة لنظر الله، وهذا التحذير والتحريض مآله الاستكثار من الطاعات والبعد عن المعاصي. ومن مآلاته – أيضا – تحسين العمل في كيفيته أداءً وبناءً. فسبب هذه المآلات هو استشعار النظر الإلهي للإنسان.

وقد ذم الله الحياة الدنيا إذا صارت محلا للجشع والهلع والحقد والبغض، قال تعالى: ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ الأنعام: ٣٢. وقد ورد نفس الوصف في مواضع عديدة في القرآن الكريم. والمراد بالحياة الأسباب التي تجعل الإنسان يتعلل بالحياة لأجلها؛ لأن الحياة مدة وزمن لا يقبل الوصف

---

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت (١٧٠/٤).

(٢) انظر: محاسن التأويل في تفسير الآية (٤/ ٣٤٤).

بغير أوصاف الأزمان من طول أو قِصَر، وتحديد أو ضده، فتعين أن المراد بالحياة الأعمال المظروفة فيها[١]. فإذا صارت الأعمال في الحياة بهذه المثابة كانت الحياة مذمومة لما آلت إليه من صور فاسدة، وإلا فإن الحياة الدنيا لا تذم لذاتها.

وحسبنا هذه الأمثلة هنا.

المطلب الرابع: مراتب المآلات

المآلات لها مراتب تنتمي إليها فليست كل المآلات على درجة واحدة من القوة أو الضعف.

وليست معرفة المآلات رجما بالغيب، وإنما تعرف المآلات وفقا لمقدمات تقتضيها وأسباب توصل إليها، ولكن قد تتخلف تلك المآلات فلا تأتي وفق المقدمات والأسباب بل بخلافها.

وعلى ضوء ذلك يمكن أن نقسم المآلات من حيث المراتب إلى متعين التحقق وظني التحقق[٢]. فما كانت أسبابه دائما تؤدي إلى مآل مُعَيَّن لا يتخلف، يكون هذا من رتبة المتعين التحقق، وما كانت أسبابه تؤدي في الغالب والكثير أو النادر إلى مآل معين يكون ذلك من رتبة الظني التحقق. وهذا في جهتي المصالح والمفاسد، في حال الأمر والنهي.

ومن أمثلة مراتب المآلات:

قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾

---

(١) التحرير والتنوير (٦ / ٦٩). وانظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م (١/ ٣٢٤).

(٢) انظر: اعتبار المآلات ص ٢٦.

الإسراء: ٢٩. ففي الآية بيان أن مآل البخل والتقتير والإسراف والتبذير اللوم من الناس على البخل، والندامة في النفس على الإسراف[١]، وهذا المآل متعين الوقوع لمن لازم هاتين الخصلتين الذميمتين في غير حق. ويفهم من الآية أن مآل الالتزام بالتوسط في النفقة هو حسن الحال وصلاح العيش.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ الكهف: ٦٧.

فهنا نفى عنه الصبر على سبيل التأكيد – مع أنه لم يجربه بعد– وذلك لأنه يعلم يقينا أنه سيعمل أعمالا لا يحيط بها موسى– عليه السلام– ويكون مآل عدم علمه بحقيقتها عدم الصبر على تلك الحال، ولذلك قال: ﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴾ الكهف: ٦٨. وقد تحقق هذا المآل كما ذكرت الآيات بعد ذلك.

ومنه قوله تعالى: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ ﴾ الحشر: ٧. معناه حتى لا يصير مال الفيء محتكرا عند الأغنياء ويحرم منه الفقراء، وذلك لأن الأغنياء كانوا يستأثرون بالغنائم في الجاهلية فيؤول أمر المال إلى أن يكون متداولا بينهم فقط، وإذا صرف مال الغنائم في مصارفه المذكورة في الآية فإن مآله يكون لنفع الفقراء والمساكين، كما قال تعالى: ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ﴾ الحشر: ٧. فالمآل متحقق في الحالين، سلبا وإيجابا[٢].

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ البقرة: ٣٥. فهذه آية عظيمة من أمثلة سد الذرائع،

---

(١) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د: وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق، الطبعة : الثانية، ١٤١٨ هـ (٥١/١٥).

(٢) انظر: التفسير المنير (٨١/٢٨).

"فإن الله لما أراد النهي عن أكل الشجرة نهى عنه بلفظة تقتضي الأكل وما يدعو إليه وهو القرب"[١] .

والشاهد في الآية :هو أن القرب من الشجرة مآله الأكل المنهي عنه ومآل الآكل الوقوع في الظلم وذلك معناه الخروج من الجنة.

ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ ﴾ البقرة: ٢٤٩."دل قوله تعالى: وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ على مبدأ سد الذرائع، لأن أدنى الذوق يدخل في لفظ الطعم، فإذا وقع النهي عن الطعم فلا سبيل إلى وقوع الشرب ممن يتجنب الطعم، لذا لم يقل: «ومن لم يشرب منه»"[٢]، وهذا دليل على التخوف من المآل الذي يظن تحققه لابتداء الشروع فيما يؤدي إليه .

ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ الأنفال: ٤٦. من أن التنازع مظنة الفشل والتفرق غالبا، وأن ائتلاف قلوب المؤمنين وثباتهم وعدم تنازعهم مآله النصر على الأعداء غالبا. وأنت إذا استقرأت عوامل سقوط الدول الإسلامية وجدت السبب الأعظم في زوال ملكها إهمال أمر الدين والتفرق بين أبناء الأمة الذي أطمع فيهم الأعداء وجعل بأسهم بينهم[٣].

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن غالب ابن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ (١/١٢٧).

(٢) التفسير المنير (٢/٤٣٣).

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق. مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م. (١ / ١٢٦).

وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴾ الكهف: ٧٩ - ٨١

هذه الأعمال التي فعلها العبد الصالح هي من قبيل سد الذرائع وفتحها[1] بحسب ما رآه من مصلحة أو توقعه من مفسدة.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ هود: ١١٢ - ١١٣. قال في التحرير والتنوير: "وهذه الآية أصل في سد ذرائع الفساد المحققة أو المظنونة "[2]، كما أن الآية حذرت من المآل السيء لمن ركن إلى الظالمين.

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ النور: ٣١. فهذه المناهي كانت خوفا مما يؤول إليه الوقوع فيها من الفساد، فإن الظن الغالب يقضي أن التبرج وإظهار المفاتن طريق إلى الفساد المتمثل في الزنا.

والأمثلة كثيرة في هذا الباب نقتصر منها على ما ذكرنا.

---

(1) التفسير المنير (١٠/١٦).

(2) التحرير والتنوير (١١ / ٣٤١)

المبحث الثاني: مصطلحات ترتبط بالمآلات

المطلب الأول: المقاصد

هناك فرق بين المقصد والمآل من حيث المفهوم، ومن حيث العموم والخصوص.

كما أن بينهما تقارب وتوافق من جهة الاعتبار في مراتب معينة. وقد مر بنا تعريف المآل قريبا، وأما المقصد فهو مشتق من الفعل " قَصَدَ " الذي له معان لغوية عدّة، بحسب مشتقاته، ومن معانيه التي تهمنا هنا، المعاني التالية:

- التوجه والاتجاه. يقال: إليه(قَصْدِي) و (مَقْصَدِي) بفتح الصاد، تعني الاتجاه.
- اسم مكان لموضع القصْد، وهو بكسر الصاد، نحو (مَقْصِدٍ).
- المعنى المراد، يقال " مقصَدي كذا" أي : ما أعنيه.
- الاستقامة، كما يقال: مقصَد الطريق بمعنى المستقيم منه[١]

وجمع (المِقْصِدُ) على (مَقَاصِدَ)[٢].

والمقاصد لغة إما اسم مكان مقصود، أو جهة يتجه إليها القاصد أو غاية يطلبها، وكلها تدل على الغاية والنهاية.

وإذا أردنا تعريف المقاصد من حيث الاصطلاح[١] فإنها هي نفس المقاصد الشرعية،

---

(١) انظر: تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري، محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م (٣٠/١١).

(٢) انظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت (٥٠٤/٢)، وانظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، دار الدعوة (٧٣٨/٢)، ومعجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي، حامد صادق قنيبي، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م (٢٨٨/١).

والتي تعرّف بأنها:" المعاني والأسرار والأهداف المرادة لله تعالى من الوحي، كتابًا وسنَّة. أو هي: مجموع المعاني والغايات والأهداف التي وضعها الشارع من أجل تحقيق مصلحة العباد التي تتمثَّل في جلب كل ما فيه منفعة، ودرء كل ما فيه مفسدة "[٢]، أو هي: "الغايات التي وُضِعت الشريعة لأجل تحقيقها لمصلحة العباد"[٣].

ومن التعريفات- اللغوية والاصطلاحية- للمآلات وللمقاصد يتبين أن المقاصد هي أهداف وغايات مقصودة ومرادة للشارع، كما يتبين أن المقاصد شاملة وعامة، وفيها دلالة على الباعث والنية، وقد يكون ذلك الباعث هو المآل نفسه، وقد لا يكون كذلك. ويتبين كذلك أن المقصد أعم من المآل بصورة دائمة، وقد يكون المقصد مآلا وقد لا يكون كذلك، والمآلات قد لا تكون مقصودا ولا مرادا شرعيا.

وقد يقع المآل وفق المقصد أو بخلافه، فإذا وافق المقصد كان المقصد باعثا ومآلا، فيتساويا في هذه الحال.

فمن وقوع المآل وفقا للمقصد ما ذكره الله تعالى بقوله: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ

---

[١] هنا يحسن التنبيه إلى ما درج في كلام الناس من تسمية النية بالقصد، فيقول أحدهم قصدي كذا أو مقصدي كذا، وهو يريد نيته، في حين أن هناك فرق بين النية والمقصد، فالنية باعث على الأمور والمقصد هدف وغاية، ولا أنكر أنه قد يكون بين المصطلحين نوع تقارب ولكنه ليس بالقصد الأول، وذلك ما أشرت إليه في متن البحث من دلالة المقاصد على النيات واعتبار الشارع ما انعقد منها. والله أعلم.

[٢] تربية ملكة الاجتهاد من خلال بداية المجتهد لابن رشد (٢٤٣/٣).

[٣] علم المقاصد الشرعية، نور الدين بن مختار الخادمي، الناشر: مكتبة العبيكان، الطبعة: الأولى ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م ص١٦. والكاتب قد جمع تعريفات المقاصد وحققها من عدد من مصادر المقاصد الشرعية وقال بأن خلاصتها: إنها جملة ما أراده الشارع الحكيم من مصالح تترتب على الأحكام الشرعية. علم المقاصد الشرعية ص١٧. وقد أخذت في بحثي ببعض ما أورده من تعاريف تناسب ما هدفت إليه منه، واكتفيت بها.

يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ البقرة: ١٧٩. فالقصد من القصاص هو قيام الحياة الآمنة، والمآل يكون وفقا لذلك؛ حيث توجد الحياة الطيبة مع وجود القصاص العادل من المعتدين على الحياة. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ فَرَجَعۡنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا وَلَا تَحۡزَنَۚ ﴾ طه: ٤٠ أي : أن المقصود من إرجاعه هو إقرار عينها وعدم حزنها، وهذا ما آل إليه الأمر بالفعل[١].

ومن وقوع المآل بخلاف المقصد، ما جاء في قوله تعالى: ﴿ فَٱلۡتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرۡعَوۡنَ لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوّٗا وَحَزَنًاۗ ﴾ القصص: ٨. فهنا تعبير عن المآل وليس عن المقصد، فهم لم يقصدوا بالتقاطه أن يكون لهم عدوا وحزنا، ولكن آل الأمر إلى ذلك. ومقصدهم كان أن يصير لهم ولدا ومنفعة[٢]، فجاء المآل بخلاف المقصد[٣].

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ (٢٢/ ٤٩).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن(١٣ / ٢٢٥)، قال: قوله تعالى:{فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا } لما كان التقاطهم إياه يؤدي إلى كونه لهم عدوا وحزنا فاللام في (ليكون) لام العاقبة ولام الصيرورة، لأنهم إنما أخذوه ليكون لهم قرة عين فكان عاقبة ذلك أن كان لهم عدوا وحزنا فذكر الحال بالمآل.

(٣) اللام في قوله (ليكون لهم عدوا ..) جاء فيها خلاف عن العلماء، فقال فريق أنها لام العاقبة أو لام الصيرورة والمآل، كالجصاص في أحكام القرآن(٢١١/٤) وغيرها، وابن سيده في إعراب القرآن في أكثر من موضع، والزركشي في البرهان(٩٣/٣) وغيرها، والسيوطي في الإتقان(٢٦٦/٢) والعكبري في التبيان في إعراب القرآن (١٠٦٦/٢) وكذا في بصائر ذوي التمييز(٤١١/٤)، وغيرهم، وبعضهم قال إنها لام كي، كما في إعراب القرآن للنحاس(٣٠/٢)، وقيل هي لام التعليل، كما في الإتقان للسيوطي (٢٦٧/٢) ونسبه لأبي حيان، وكما في البحر المحيط في أصول الفقه للزركشي عن الزمخشري (٢٤٢/٧)، وهي لام كي عند الكوفيين ولام الصيرورة عند البصريين، كما في البحر المحيط للزركشي (١٦٧/٣)، وهي عند كثير من البصريين لام كي كما في الجنى الداني في حروف المعاني ص ١٢١، وقيل هي بمعنى الفاء أي: (فكان لهم عدوا وحزنا) كما في الجنى الداني أيضا(١٢١) وكما في الجمل في النحو للخليل بن أحمد الفراهيدي ص ٢٧٥، وقيل هي لام العرض المحض، كما في حروف

ومن هنا فإن المآلات لا تكون مقصدا شرعيا أو مشروعا بصورة دائمة، فليس كون الشيء نتيجةً لفعل مشروع دليلاً على كونه مقصوداً به وبالتالي ليس دليلا على شرعيته، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن المآلات الحسنة لا تعفي من القصد السيئ[١].

والمقصد المشروع لا بد أن يكون موافقا للشرع، "والدليل على ذلك ظاهر من وضع الشريعة؛ فهي موضوعة لمصالح العباد على الإطلاق والعموم، والمطلوب من المكلف أن يجري على ذلك في أفعاله، وأن لا يقصد خلاف ما قصد الشارع"[٢].

والقصد الجازم والنية المعقودة لهما اعتبار في الشرع من حيث الثواب والعقاب، ولو كان المآل بخلافهما، "فالفعل لا يصِير قربة أي سببا لنيل الثواب إلا بعزيمة القلب بالاتفاق، ولقوله عليه السلام ((**إنما الأعمال بالنيات**))[٣]. وعزيمة القلب قد تصير قربة بدون الفعل بدليل قوله عليه السلام ((**من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة**)) الحديث"[٤].

ولكن المآلات لا تعتبر قبل وقوعها ولا يجازى صاحبها إلا على وقوعها، كما أنها

المعاني للزجاجي ص٤٦، والعرض هو الطلب برفق ولين، كما في شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب (٥٣٨/٢).

(١) المقاصد عند الإمام الشاطبي دراسة أصولية فقهية، تأليف: محمود عبد الهادي فاعور، الناشر: بسيوني للطباعة، صيدا – لبنان. الطبعة: الأولى ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م. (١ / ١٦٦).

(٢) الموافقات في مقاصد الشريعة (٣ / ٢٣، ٢٤) بتصرف يسير.

(٣) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه. انظر: الجامع الصحيح له، الطبعة الأولى، دار الشعب، القاهرة، ١٤٠٧ – ١٩٨٧م. (٢/١) رقم :١، حسب ترقيم فتح الباري.

(٤) كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي، عبد العزيز بن أحمد بن محمد، علاء الدين البخاري، تحقيق: عبد الله محمود محمد عمر. دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى ١٤١٨هـ/١٩٩٧م. (٣ / ٢٥٨). والحديث: أخرجه البخاري في صحيحه (١٢٨/٨). رقم: ٦٤٩١. حسب ترقيم فتح الباري.

ليست من المقدور عليه من المكَلَّف– على جهة الدوام– ولذلك كان المجتهد المخطئ مأجورا ولو لم يصِب ولا عبرة بمآل فعله وهو عدم الإصابة أو الخطأ، والأجر المذكور ليس على الخطأ " لأن الخطأ في الدين لم يؤمر به أحد وإنما يؤجر لإرادته الحق الذي أخطأه"[(١)]،فاستحق أجر العمل وحرم أجر الإصابة. فهنا اعتبرت النية والقصد وأهمل المآل من حيث المؤاخذة عليه؛ حيث كان أحد وجوه مؤدّى الاجتهاد السائغ الذي سوغه عدم قطعية الدليل أو مسوغات أخرى[(٢)].

وقد يتَّحِد المقصد والمآل والنية الباعثة معا ويكون الأمر في ذلك أقوى من حيث الاعتبار، كما هو الحال في مسجد الضرار، فالعمل وهو بناء المسجد صالح في الظاهر، ولكن المعتبر الدافع والمقصد من بنائه ومآل بناء ذلك المسجد، فنيتهم كانت فاسدة وكذلك المقصد والمآل، كما ذكر سبحانه وتعالى في كتابه العزيز، فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١٠٧ لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ ١٠٨ أَفَمَنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقۡوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٍ خَيۡرٌ أَم مَّنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٖ فَٱنۡهَارَ بِهِۦ فِي نَارِ جَهَنَّمَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾التوبة: ١٠٧ - ١٠٩. فالمفاسد التي بينتها الآيات وهي: الضرار، والكفر، والتفريق بين المؤمنين، والإرصاد لمن حارب الله

---

(١) التقرير والتحرير في علم الأصول. ابن أمير الحاج، دار الفكر، بيروت، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م. (٣ / ٤٠٨).

(٢) انظر: العدة في أصول الفقه، للقاضي أبو يعلى (المتوفى : ٤٥٨هـ)، حققه وعلق عليه وخرج نصه : د أحمد بن علي بن سير المباركي، الأستاذ المشارك في كلية الشريعة بالرياض – جامعة الملك محمد بن سعود الإسلامية، بدون ناشر، الطبعة الثانية ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م (٥/١٥٧٠، ١٥٧١).

ورسوله. هذه المفاسد هي ما كان يبيته ويهدف إليه المنافقون من وراء بناء المسجد، كما أن بعضا منها مآلات حتمية تؤثر على بنية الأمة المسلمة، ولذلك فقد كانت سببا لهدمه وإزالته، ولم ينظر إلى حسن الفعل في حد ذاته، وإنما إلى المقاصد والمآلات الظاهرة والتي دلّت على النيات. "وهذا مثل يقاس عليه كل أنواع الضرار التي يخطط لها أعداء الأمة المسلمة "فالمسجد ما يزال يتخذ في صور شتى تلائم ارتقاء الوسائل الخبيثة التي يتخذها أعداء هذا الدين .. "[1] .

ومن صور اعتبار النيات والمقاصد والمآلات والأفعال، ما جاء في قوله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ البقرة: ٧٩. فتحريفهم الكتاب بكتابتهم فعلٌ كان المقصد منه تغيير أفكار وعقائد الناس وتشويه كلام الله والكسب القليل وطلب الجاه، وهذا مع وجود النية الفاسدة، ومؤدى ذلك مآلات عظيمة الفساد، فاجتمع عقاب ذلك في توعدهم بالويل وحرمانهم من الكسب على الباطل[2] اعتبارا للنية والقصد والفعل والمآل.

ومن اعتبار المقصد الذي يتبعه المآل ما جاء عن فرعون أنه كان يبقي نساء بني إسرائيل أحياء لغرض الفساد، فجعل الله استحياء فرعون للنساء بلاءً، مع أنه في الظاهر منفعة، وذلك للقصد السيئ من ورائه، والمآل الذي يُتَوقّع جرّاء ذلك القصد، من الفساد والبلاء والمصيبة، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ البقرة: ٤٩. " الاستحياء

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم/ دار النشر : دار الشروق . القاهرة.(٣ / ١٧١٠، ١٧١١).

(٢) انظر: مفاتيح الغيب (٣/ ٥٦٥).

استفعال يدل على الطلب للحياة أي يبقونهن أحياء أو يطلبون حياتهن. ووجه ذكره هنا في معرض التذكير بما نالهم من المصائب أن هذا الاستحياء للإناث كان المقصد منه خبيثا وهو أن يعتدوا على أعراضهن ولا يجدن بدا من الإجابة بحكم الأسر والاسترقاق فيكون قوله: (وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ) كناية عن استحياء خاص، ولذلك أدخل في الإشارة في قوله: (وَفِي ذَلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ). ولو كان المراد من الاستحياء ظاهره لما كان وجه لعطفه على تلك المصيبة، وباعتبار هذا المقصد انقلب الاستحياء – الذي هو طلب الحياة – مفسدة بمنزلة تذبيح الأبناء، إذ كل ذلك اعتداء على الحق "[1] ، قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ القصص: ٤.

وأمر المقصد أشد في الاعتبار من المآل؛ لأن المقصد ينبئ عن نية سابقة تنبئ عن إصرار، بخلاف المآل فقد لا يكون معلوما، ويلحق المقاصد في الاعتبار: البواعث على الأعمال والدوافع المحركة نحو الأعمال والأسباب، وقد اعتبر الشارع هذه المقاصد كما اعتبر الأعمال نفسها، ولكن هذا الاعتبار في حال معرفة المقصد، فإذا لم يعرف المقصد نظرنا إلى المآل – وهو قد يكون موافقا أو مخالفا للمقصد- فإذا تحققنا منه أنزلنا حكمه على التصرف المنظور[2].

وهنا نخلص إلى أن المآلات تتفق مع المقاصد في المراعاة والنظر، كما أنها معتبرة ضِمْن اعتبار المقاصد أحيانا، والمآلات الظاهرة المتعينة الوقوع ينبغي مراعاتها واعتبارها اعتبارا استقلاليا، كما قال تعالى: ﴿ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ

---

(1) التحرير والتنوير(١/٤٩٢).

(2) انظر: الموافقات (٥ / ١٧٧)

كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ الأنعام: ١٠٨. وفي ذلك دليل على أن الطاعة إذا أدت إلى معصية راجحة وجب تركها[١].

ولكن مراعاة المآلات لا ينبغي أن تمنع الأعمال والإقدام عليها توقعا لحصولها على جهة غير مرْضِيَّة، وذلك لعدم العلم اليقيني بها، وإلا لتوقفت كثير من أمور الحياة.

المطلب الثاني: الذرائع والوسائل

الذرائع لغة: هي الوسائل والأسباب الموصلة إلى الشيء[٢].

والذريعة بالمعنى العام : هي كل شيء يتخذ وسيلة لشيء آخر[٣].

وبالمقارنة بين تعريف المآلات وتعريف الذرائع يتضح أن بين المآلات والذرائع صلة عظيمة سدا وفتحا، فالذرائع طرقٌ يتوصل بها إلى أمر ما، ومن ثم تأتي المآلات بعدها، فهي إذن طرق مؤدية إلى المآلات ترتبط بها ارتباطا وثيقا.

ومعلوم أن الوسائل تأخذ حكم المقاصد، وكذلك يمكن القول إنها تأخذ حكم المآلات أيضا.

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ (١٧٧/٢).

(٢) لسان العرب (٩٦/٨) فصل الذال، مادة: ذرع. والمعجم الوسيط (١/ ٣١١) مادة: ذرع.

(٣) الفروق، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (المتوفى: ٦٨٤هـ)، عالم الكتب(٢٦٦/٣) ومقاصد الشريعة الإسلامية، للدكتور: زياد محمد احميدان، مؤسسة الرسالة ناشرون، ط١، ٢٠٠٨م، ص٣٧٠. وقد عرفها القرطبي بأنها: "عبارة عن أمر غير ممنوع لنفسه يخاف من ارتكابه الوقوع في ممنوع". تفسير القرطبي (٥٧/٢). ولكن هذا تعريف لها من باب سدها، والتعريف المذكور أعلاه شامل للذرائع حال السد والفتح. ومثل تعريف القرطبي للذرائع عرفها ابن العربي، أحكام القرآن (٢/ ٢٦٥).

أمثلة تبين الارتباط الوثيق بين الذرائع والمآلات:

- النهي عن سب آلهة المشركين – مع أنها ليس لها حرمة – كي لا يسب المشركون الله سبحانه وتعالى، كما قال تعالى: ﴿ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ ﴾ الأنعام: ١٠٨.

ولم يكن القصد من سب آلهة المشركين أن يسبوا الله تعالى، ولكن الواقع أنه يؤول إلى ذلك الفعل، والآية تبين سبب النهي عن سب آلهة المشركين وهو أن ذلك سيؤدي إلى مآل سيء أعظم من المصلحة المتوقعة من سب آلهتهم، "وظاهر الآية وإن كان نهيا عن سب الأصنام، فحقيقته النهي عن سب الله، لأنه سبب لذلك[١]. "وقد ذهب جمهور أهل العلم إلى أن هذه الآية محكمة ثابتة غير منسوخة، وهي أصل أصيل في سدّ الذرائع، وقطع التطرّق إلى الشبه"[٢].

قال ابن العربي: "منع الله في كتابه أحدا أن يفعل فعلا جائزا يؤدي إلى محظور ولأجل هذا تعلق علماؤنا بهذه الآية في سد الذرائع.."[٣]. والمراد هنا منع الوسائل بسبب مآلاتها.

- تحريم المحرمات – عموما- لما تؤدي إليه من منكرات ومفاسد، كتحريم الخمر لأنه طريق إلى مآلات غير حميدة، وكذلك تحريم الزنا لما يؤول إليه من اختلاط

---

(١) معالم التنزيل، لمحيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر ،بالاشتراك،(٣/ ١٧٦)، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.

(٢) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، المؤلف : محمد بن علي الشوكاني. دار الفكر، بيروت. (٤٦١/٢).

(٣) أحكام القرآن، محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي ،راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان (٢/ ٢٦٥)، (٣٣١/٢) .

الأنساب وانتشار الفحش.. وهكذا يمكن قياس ذلك على سائر المحرمات.

- النهي عن استخدام بعض الألفاظ في بعض الحالات، كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا ﴾البقرة: ١٠٤. فقد نهى الله المؤمنين عن استعمال كلمة "راعنا" وهي تأتي بمعنى: الانتظار، ولكن لما كان اليهود يستغلون معناها الآخر الذي هو بمعنى الرعونة وهي من أرعن بمعنى: أحمقا كثير الجهل، نهى القرآن عن استعمالها لما يؤول إليه المعنى من السخرية والاستهزاء بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1]، ومعلوم أنه لم يكن للمسلمين قصد في ذلك، ولكن لما فيها من الشبَه بالمعنى القبيح الذي كان مستخدما عند اليهود وحتى لا يجعل اليهود شيوع استعمالها وسيلة لسب النبي صلى الله عليه وسلم، منع المسلمون من استعمالها مع النبي صلى الله عليه وسلم وأبدلهم الله بكلمة لا شبهة فيها[2] قطعا للطريق وما يؤدي إليه من مآلات سيئة.
- النكير على الذرائع المؤدية إلى مآلات منهية، كما في قوله تعالى: ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴾الأعراف: ١٦٣. فقد حرم الله عليهم الصيد في يوم

---

(1) انظر: تهذيب اللغة (٢/ ٢٠٦) باب: العين والراء. ولكلمة " راعنا" معنى آخر، من المراعاة والحفظ. انظر: تهذيب اللغة (١٠٣/٢) . ولكن المعاني الطيبة لم تمنع النهي عنها لما فيها من مآل فاسد.

(2) انظر: محاسن التأويل (٣٦٩/١). وانظر: في الاجتهاد التنزيلي، للدكتور: بشير بن مولود جحيش، كتاب الأمة، ص١٢٢.

السبت، فكانت الحيتان تأتي يوم السبت شُرّعا، أي ظاهرة، ولا تظهر في الأيام الأخرى، ابتلاهم الله بسبب فسقهم(بما كانوا يفسقون) فالابتلاء ترتب على الفسق.

ولم يعتبروا بما حل بهم من البلاء ويتوقفوا عن المعاصي بل تذرعوا إلى الصيد الذي نهوا عنه فاعتدوا وسدوا عليه الطريق يوم السبت وأخذوه يوم الأحد، وكان سد الطريق عليه ذريعة للاصطياد، "فتسبب عن اعتدائهم المذكور، ما ذكره تعالى بقوله (فَقُلْنا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خاسِئِينَ) أي: صاغرين مطرودين مبعدين من الخير، أذلاء"[1]. وقد لخصت الآيات كيف تطور العذاب حتى آل أمرهم إلى المسخ، قال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴾ . ثم قال: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴾ الأعراف: ١٦٥. ثم قال: ﴿ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾ الأعراف: ١٦٦.

فلو نظرنا إلى تسلسل العذاب وتطوره لوجدنا أنهم كانوا عصاة، فتسبب عصيانهم ان ابتلوا بمنع الاصطياد، ولكنهم لم يتعظوا وزادوا ظلما وعصيانا فاشتد العذاب عليهم إلى أن صار بئيسا، فلم يتراجعوا، وزادوا في الاعتداء والعتو فزاد العذاب حتى مسخوا قردة. والقصة فيها بيان لارتباط الذرائع بالمآلات.

- ومن ذلك قوله تعالى لآدم وحواء ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ ﴾ البقرة :٣٥، الأعراف:١٩ .

وقد مر بيان الآية وارتباطها بالموضوع.

---

(١) محاسن التأويل (١ / ٣٢٣) .

- ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ النور: ٣٠.

حيث بينت الآية أن النظر إلى المحرم يجر إلى فعل المحرم، وفي الأمر بالغض أدب شرعي عظيم في مباعدة النفس عن التطلع إلى ما عسى أن يوقعها في الحرام ... وجاء الأمر بحفظ الفروج عَقِب الأمر بالغض لأن النظر رائد الزنى، فلما كان ذريعة له أمرنا بالغض منه، ومبالغة في حفظ النظر أمرنا بحفظ الفروج والعورات حتى لا يباشرها النظر ولو عن غير قصد[١]. فهذا كله سدا لذريعة توصل إلى مآلات سيئة.

وفي السنة أحاديث كثيرة ثابتة صحيحة تبين مسلك سد الذرائع خوفا من مآلاتها، ليس من مقصد البحث إيرادها.

المطلب الثالث: الموازنات والأولويات

الموازنة تطلق في اللغة وتعني: المماثَلة، أي وزنُ شيئين حتى يصيرا سواء، ومنه قولهم للشيء هو وِزَان كذا، بمعنى يماثله ويساويه ويعادله[٢].

وتطلق الموازنة — أيضا – على المقارنة والمفاضلة بين أمرين عند إرادة الفعل أو الترك[٣].

وهذا المعنى – الثاني – هو ما نقصد إليه من معنى الموازنة، إذ المراد معرفة موقع الشيء ووزنه بشيء آخر، لمعرفة مدى أهميته؛ من أجل الإقدام عليه أو الإحجام عنه، ومن أجل

---

(١) انظر: التحرير والتنوير (١٨ / ١٦٣).

(٢) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت ص٩٤٦. والمعجم الوسيط (٢/ ٥٨٨) مادة: عادل، وفاضل، وقارن، ووازن.

(٣) انظر: المعجم الوسيط (٢/ ٥٨٨،٦٩٣، ١٢٢٩)

وضعه في موضعه اللائق به.

والأولويات نعني بها: معرفة هل الشيء ذو أولوية أم لا، فيقدم أو يؤخر. والأولوية هنا من باب "الأَوْلَى" بمعنى الأحسن والأمثل، كما قال تعالى: ﴿ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴾ محمد: ٢٠. كما جاء عن بعض المفسرين[١].

وهناك صلة كبيرة بين المآلات والموازنات والأولويات، فمعرفة المآل يؤثر في تقديم وتأخير بعض الأمور على بعض، وذلك من باب فقه تقديم الأعظم نفعا في مآله وتأخير الأعظم مفسدة في مآله، فلا ننظر إلى الأمر في الحال فقط ولكن أيضا ينبغي النظر إلى أثره المآلي.

ومن أوضح الأدلة على ارتباط المآلات بالموازنات ما جاء في قصة موسى والعبد الصالح عليهما السلام في سورة الكهف، حيث قال الله تعالى في نهاية القصة على لسان الخضر عليه السلام: ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِىٓ ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ الكهف: ٨٢. أي ذلك المذكور من تلك البيانات التي بينتها لك وأوضحت وجوهها، تأويل ما ضاق صبرك عنه، ولم تطق السكوت عليه، ومعنى التأويل هنا : هو المآل الذي آلت إليه تلك الأمور، وهو اتضاح وظهور ما كان مشتبهاً على موسى عليه السلام[٢]. والموازنة ظاهرة بين نظر موسى وبين نظر الخضر عليهما السلام، فموسى نظر إلى الظاهر والخضر نظر إلى المآل بتعليم الله له، ولذلك قال: ﴿ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾.

وارتباط المآلات بالأولويات تظهر من خلال معرفة القيام ببعض الأمور التي لها

---

(١) انظر: لطائف الإشارات، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، الطبعة: الثالثة (٤١٢/٣). والتحرير والتنوير (١٠٨/٢٦).

(٢) فتح القدير للشوكاني(٤ / ٤١٥). وانظر: محاسن التأويل (٥٣/٧).

مآل أفضل من غيرها من حيث الثمرة والأهمية، فيكون للمآل مدخل في تحديد الأولويات، كما قال تعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ البقرة: ١٧٧.

ومعنى الآية أنَّ استقبالَ القِبلة لا يكُون برّاً إلا إذا ارتبط بالإيمانِ بِالله ورسُوله، فأي عمل دُونَ هذا الشَّرط لا يكون مِن أَفعال البرِّ[١]. ومن هنا نعلم أن الأولوية للأصول؛ لأن الأعمال بدون الأصول لا وزن لها ولا قيمة ومآلها الضياع[٢] .

ومن أبين الأدلة على ارتباط الأولويات بالمآلات ما جاء في قوله تعالى: ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ التوبة: ١٩ - ٢٠ .

حيث بينت الآيات أن الأعمال الإيمانية ليست كلها على وزان واحد، بل هي متفاوتة فمنها ما يكون في الصلب ومنها ما يكون أقل منه، ومنها الأعلى والأدنى، وبالتالي يكون التعامل معها بحسب ذلك، فلا يقدم ما حقه التأخير ولا يكبر الصغير ولا

---

(١) اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م (١ / ٥١٥).

(٢) انظر: في فقه الأولويات للقرضاوي، مكتبة وهبة، ط١، ٢٠١٠م. ص ١١١.

يهون الخطير، بل يوضع كل شيء في موضعه اللائق به، ويعطى من الاهتمام ما يستحقه[١] .

ومن أمثلة الإرشاد إلى الأَولى من الأعمال لما فيها من حسن المآل وأفضليته، الآيات التالية:

قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ البقرة: ٢١٥. حيث أرشد السائلين إلى أبواب من النفقة مآلاتها أفضل من غيرها.

وقوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ ﴾ البقرة: ٢١٧. حيث أرشد هنا إلى أن الكفر والصد عن سبيل الله هو أولى بأن يسألوا عنه وأن يستقبحوه لما فيه من الفتنة والظلم والمآلات القبيحة.

وقوله تعالى ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ الأنفال: ١. ففي الآية بيان أن المشاحة على الغنائم سبب في التفرق والشتات، والأولى هو الانشغال بما يؤدي إلى توحد الصف وقوته وبما يحقق الإيمان من الصفات المذكورة.

وإذا تتبعنا هذا الباب في القرآن الكريم فسنجد له أمثلة كثيرة.

---

(١) انظر: في فقه الأولويات للقرضاوي ص ٩.

المبحث الثالث: صُور ذِكْر المآلات في القرآن الكريم

وردت الإشارة إلى المآلات في القرآن الكريم بصور متعددة، ذكرتُ في الأمثلة السابقة بعضا منها بصور منفردة، وهنا أورد أمثلة تجتمع تحت عناوين محددة، وذلك من خلال المطالب التالية.

المطلب الأول: في الألفاظ والتقريرات

الفرع الأول: الألفاظ

أطلق القرآن الكريم الفاظا ومصطلحات كثيرة للدلالة على المآلات، منها ما هو صريح في دلالته على المآل أو قريب من الصراحة، ومنها ما يمكن معرفة دلالته على المآل باعتبار نهاية صورته التي عبر عنها، لا باعتبار ابتدائها، ويمكن أن يكون فيه نوع مجاز، وسنوضح ذلك من خلال الأمثلة، كما يلي:

أولا: أمثلة على الألفاظ الصريحة الدلالة على المآل، والقريبة منها:

فمما فيه دلالة صريحة على المآل من الألفاظ: كلمة " موئلا" في قوله تعالى: ﴿بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴾الكهف: ٥٨. وكلمة " عاقبة " كما في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ ﴾الروم: ١٠. وكلمة "عاقبة" جاءت في مواضع كثيرة بمعنى المآل، ولعل هذا الموضع من أوضحها. و من هذا الباب: كلمة "عُقْبى، ومرجع، ومصير ومآب"، ومشتقات هذه الكلمات.

ومن أمثلة القريب من الصريح في دلالته على المآل من الألفاظ: لفظ السين وسوف الداخلتان على الفعل المضارع مع الدلالة على المستقبل والعاقبة، كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا ﴾النساء: ٥٦. فصَلْيُهم نارا باعتبار ما سيؤول إليه

أمرهم. وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾ مريم: ٩٦. ومعنى ذلك: أنه "سيجعل في قلوبهم ودا لله نتيجة لأعمالهم الخالصة، أو يجعل لهم ودا في قلوب عباده وفي قلوب الملائكة "[١]. وقوله ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا﴾ النساء: ١٧٥. " السين في قوله "فسَيُدْخِلُهُمُ" للاستقبال، أي يحفظ عليهم إيمانهم في المآل عند التوفي، كما أكرمهم بالعرفان والإيمان في الحال"[٢] ويؤول أمر ذلك الحفظ إلى الثواب بدخول الجنة والفوز العظيم[٣].

وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ غافر: ٦٠. فهذه الآيات وغيرها كثير تدل على المآل والعاقبة، وذلك أمر واضح لا يحتاج إلى مزيد بيان.

ثانيا: أمثلة على الألفاظ الدالة على المآل من حيث نهاية صورها التي عبرت عنها:

- لفظ الرحمة: والرحمة أصلُ معناها رقة القلب وعطفه[٤]. ويعبر بها القرآن أحيانا عن الحالة الحسنة، والخير والنعمة، ففي التنزيل العزيز: ﴿وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ مِّنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُمۡ إِذَا لَهُم مَّكۡرٞ فِيٓ ءَايَاتِنَاۚ﴾ يونس: ٢١. أخبر سبحانه أن ما يصيب به الناس من الخير فهو رحمة منه أحسن بها إلى عباده، كالرخاء بعد الشدة، والخصب بعد الجدب، والمطر بعد القحط وسعة العيش والصحة

---

(١) لطائف الإشارات (٢/٤٤٣).

(٢) لطائف الإشارات (١/٣٩٤).

(٣) انظر: معالم التنزيل (١/٧٢٦).

(٤) الفروق اللغوية ص ٢٥١.

إلى غير ذلك..[١]، وهذه كلها آثار لرحمة الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿ فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ الروم: ٥٠. فالتعبير هنا عن آثار الرحمة ومآلاتها وليست عن أصلها وذاتها[٢].

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ الأنبياء: ١٠٧. فالنبي صلى الله عليه وسلم رحمة باعتبار ما ينتظر من اتبعه من مآل حسن، فهو رحمة للمؤمنين خاصة، وهو رحمة عامة لكل الناس. كما قال ابن عباس: "هو عام في حق من آمن ومن لم يؤمن، فمن آمن فهو رحمة له في الدنيا والآخرة، ومن لم يؤمن فهو رحمة له في الدنيا بتأخير العذاب أو رفعه.. "[٣]. "وهو رحمة لِلعالَمِين لأن ما بعث به سبب لإسعادهم وموجب لصلاح معاشهم ومعادهم"[٤] وهذا كله من المآلات التي تستتبعها الرحمة المقصودة من إرسال النبي صلى الله عليه وسلم، كما ترى سواء في العموم أو في الخصوص. فدلالة لفظ الرحمة تقتضي هذه المعاني المآلية كلها.

- لفظ الحسنة: والحسنة في الأصل من الحُسْن[٥]، "ويطلق على كل مُبْهِج مرغوب فيه، ويعبر بالحسنة عن كل ما يسر من نعمة تنال الإنسان في نفسه

---

(١) التفسير المنير(١١/١٤٣) و(٢٥/٩)

(٢) مع الانتباه إلى التفريق بين رحمة الله ورحمة عباده، من حيث الصفة.

(٣) معالم التنزيل (٥ / ٣٥٩).

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٤/٦٢).

(٥) الفروق اللغوية ص ٢٢٢.

وبدنه وأحواله، والسيئة تضادها[١].

فقوله تعالَى: ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ النساء: ٧٨ - ٧٩. ، فالحسنة هنا: هي الخصب والسعَة والظَفر، والسيئة هي: الجَدب والضِيق والخَيبة. كما أنها – أيضا– الثَواب، أو العَذاب[٢].

وقد توافق الناس في إطلاقهم الحسنة على ما يستحسنونه: فيقولون: حسَنٌ وحسَنةٌ، وهذا في الذوات والهيئات والمعاني[٣]، ولكن لفظ " الحسنة" يطلق أيضا على الأفعال لاعتبار مآلاتها، ومنه قَوله تعالَى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾ هود: ١١٤.، قيلَ: المراد بهَا الصَّلوات الخمس، وفعل الخيرات[٤]. ففعل الصلوات حسنة لما ينتج عنه من أمر حسن مستحسن، وهو تكفير السيئات.

وقد عبر القرآن عن معنى المآل في لفظ الحسنة والسيئة في قوله تعالى: ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ

---

(١) المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق بيروت، ص ١٦٥.

(٢) المفردات للراغب ص ١٦٥.

(٣) انظر: المفردات للراغب ص ١٦٥.

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب ابن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ (٢١٢/٣)، وتفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ، (٣٠٤/٤).

حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ ﴾ النساء: ٧٨. فانظر كيف قال " إن تصبهم حسنة، وإن تصبهم سيئة" فهم لم يعملوا الحسنة ولا السيئة ولكنها أصابتهم، فكيف ذلك؟ والجواب انه: " كما تقع الحسنة والسيئة على الطاعة والمعصية يقعان على النعمة والبلية، وهما المراد في الآية أي : وإن تصبهم نعمة كخصب نسبوها إلى الله سبحانه وتعالى وإن تصبهم بلية كقحط أضافوها إليك وقالوا إن هي إلا بشؤمك"[١] والحقيقة أن ذلك مآل أعمالهم وثمرتها. وهذا معناه أن الحسنة والسيئة تطلقان على الآثار والمآلات المترتبة على الأفعال.

وفي سياق الآيات التالية يأتي لفظ "الحسنة" في معرض آثارها ومآلاتها، قال تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ البقرة: ٢٠١. وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ النحل: ٤١. وقال تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ ﴾ النحل: ١٢٢. ونجد المفسرين يفسرون معنى الحسنة في الآيات بآثارها ومآلاتها، وذلك واضح أصلا من سياق الآيات، ويؤيد ذلك الألفاظ الواردة في الآيات، وهي: " آتنا، لنبوأنهم، آتيناه"، حيث إن مثل هذه الألفاظ الدالة على التعْدِيَة، وهي " آتينا، وبوأنا " فيها تفضل وتكرم بأمر لم يكن عند المعطَى، ولكن لما أعطِيَه وقع منه موقعا حسنا، فهو أعطاهم ما مآله الحُسن والجمال والنفع لهم.

وكذلك لفظ السيئة: فهي من السوء وهو القبح، ولكن تأتي منها الفعلة السيئة التي تستقبح، كالذنب والخطيئة[٢]، وقد تستعار بعض معانيها للدلالة على الحالة السيئة التي

---

(١) أنوار التنزيل (٢/٨٥)

(٢) المعجم الوسيط (١/٤٦٠) مادة: ساء.

لا تسر، وذلك لما تكون عاقبته غير محمودة، فـ(السيئة) كل ما يسوء صاحبه، و(الحسنة) ما يستحسنه الطبع والعقل، كما قال تعالى: ﴿ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَواْ وَّقَالُواْ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ الأعراف: ٩٥. أي أبدلناهم بالجدب خصبا[١]، فأخبر تعالى أنه يأخذ أهل المعاصي بالشدة تارة، وبالرخاء أخرى[٢]، وهي أحوال تتعاقب على الإنسان يسره بعضها فيسمى حسنة، ويسوءه بعضها فيسمى سيئة. وكما قال تعالى: ﴿ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ الأعراف: ١٦٨. أي: عاملناهم معاملة المبتلى المختبر بالحسناتِ، وهي : النِّعمُ والخصبُ، والعافيةُ، والسَّيِّئاتِ وهي الجدب، والشَّدائدُ [٣]. فالحُسن والسوء وصف لهذه الأشياء باعتبار ذاتها أو آثارها ومآلتها. والكلام في الحسنة والسيئة متداخل فلا نكرره.

- لفظ: الإثم:

الإثم: هو الذنب[٤]، وهو العمل السيئ، ولكن قد يطلق لفظ " الإثم" على الجزاء الناتج عن الذنب، كما قال تعالى: ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾ الفرقان: ٦٨. أي يلق جزاء إثمه ويؤاخذ به، وقد بينته الآية فقالت: ﴿ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴾ الفرقان: ٦٩. أي أن الأثام هو مضاعفة العذاب، وهذا في الحقيقة هو مآل من يفعل ما ذُكِر في الآيات التي قبلها من الذنوب.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٧ / ٢٥٢).

(٢) مفاتيح الغيب (٣٢١/١٤).

(٣) اللباب (١ / ٢٤٦٧).

(٤) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ، ١٩٨٧ م (١٨٥٧/٥) ماد: أثم.

- لفظ: الفساد: وأصله في اللغة: خروج الشيء عن الاعتدال قليلا أو كثيرا، ويستعمل في الماديات والمعنويات[١]. ويقال: للعمل الباطل الذي لا خير فيه وللشيء يدركه الخلل: فاسد[٢].

وقد عبر القرآن بالفساد عن الحالة غير السوية في أحوال الناس في دينهم ودنياهم، وهو تعبير مجازي، يفيد قوة الفساد وبروزه في حياة الناس، وذلك بما تؤول إليه حياتهم من عدم الصلاح، فقال تعالى: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ الروم: ٤١. وفي الآية بيان أن الفساد هو مآل أعمالهم، كما في نهاية الآية. وقال تعالى عن المنافقين: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ البقرة: ١١ - ١٢. فالإفساد في الأرض منه تصيير الأشياء الصالحة مضرة كالغش في الأطعمة، ومنه إزالة الأشياء النافعة كالحرق والقتل للبراء، ومنه إفساد الأنظمة كالفتن والجور، ومنه إفساد المساعي كتكثير الجهل وتحسين الكفر ومناوأة الصالحين المصلحين، ولعل المنافقين قد أخذوا من ضروب الإفساد بالجميع... والمراد بالأرض هذه الكرة الأرضية بما تحتوي عليه من الأشياء القابلة للإفساد من الناس والحيوان والنبات وسائر الأنظمة والنواميس التي وضعها الله تعالى لها، ونظيره قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴾ البقرة: ٢٠٥. [٣] وهذه الأنواع من الفساد كلها تؤدي إلى فساد الأرض بصورة عامة، بسبب كثرة وجوه الفساد الذي يعبر عنه لفظ "سعى".

---

(١) المفردات للراغب ص ٤٨٢.

(٢) تاج العروس (٨/ ٤٩٦) مادة: فسد. ولطائف الإشارات (١/١٧٠)

(٣) التحرير والتنوير (١ / ٢٨٠، ٢٨١) .

- لفظ: السَّكَر ولفظ الرزق الحسن. كما في قوله تعالى: ﴿ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرٗا وَرِزۡقًا حَسَنًاۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴾ النحل: ٦٧.

فالسكر والرزق هما مآلا الثمرة وليسا الثمرة المباشرة.

- لفظ: فانفجرت: في قوله تعالى:﴿ وَإِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ فَقُلۡنَا ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ ﴾ البقرة: ٦٠. عبر هنا بالانفجار عن تدفق الماء، وكان قد عبر في سورة الأعراف عن ذلك بقوله: ﴿ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنۢبَجَسَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ ﴾ الأعراف: ١٦٠. والانبجاس هو أول الانفجار، والانفجار هو مآل الانبجاس، فجاء التعبير بالانفجار مشعرا بالقوة التي آل إليها خروج الماء[١].

- لفظ: "يبسا": في قوله تعالى: ﴿ فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقٗا فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسٗا ﴾ طه: ٧٧. عبر باليَبَس مع أنه لم يكن يبسا عند الضرب ولكن آل أمره إلى اليبس[٢].

- لفظ: " أحاديث" : في قوله تعالى: ﴿ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ وَمَزَّقۡنَٰهُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ ﴾ سبأ: ١٩. أي يتحدث الناس بما كانوا فيه من نعيم وما صاروا إليه من هلاك، حتى ضرب بهم المثل فقيل : تفرقوا أيدي سبأ[٣]. فكأنهم هم صاروا حديثا، وهذا تعبير بما آل إليه أمرهم من القلة والنكال، وأما هم في ذاتهم فلم يصيروا أحاديث من حيث الذات.

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم (١/ ٢٧٩).

(٢) البحر المحيط (٣٦٢/٧)

(٣) النكت والعيون، لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي، تحقيق: السيد بن عبد المقصود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. (٤٤٦/٤).

- لفظ: "تعبثون": في قوله تعالى: ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴾ الشعراء: ١٢٨. فقد عبر بكلمة تعبثون، وهو يقصد أعمال البناء التي في ظاهرها النفع، ولكن المتكلم رأى من قومه تمحضا للشغل بأمور دنياهم، وإعراضا عن الفكرِ في الآخرة والعمل لها والنظر في العاقبة. وإذا أهمل إرضاء الله تعالى بالأعمال واتخذت للرياء والغرور، وكان أصحابها معرضين عن التوحيد وعن عبادة الله ... صار وجودها شبيها بالعبث لأنها خلت عن روح المقاصد الحسنة فلا عبرة عند الله بها[١] حيث آلت من هذه الحيثية عبثا.
- لفظ: "نساء": في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ القصص: ٤. حيث أطلق اسم النساء على إناث الأطفال اعتبارا لما سيكون من مآلهن[٢]. والألفاظ كثيرة في هذا الباب.

الفرع الثاني: التقريرات

وأريد بالتَّقْرِير: تَحْصِيل مَا لم يُصَرِّح بِهِ القَوْل[٣] من معنى، ولكنه يتضح من خلال السياق، وفي باب المآلات: قد يأتي بصورة توكيد لمآل معين، أو كلام مطلق يمكن لنا أن نستنتج منه صورة مآل معين، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ البقرة: ١٧٩ "فإنه جعل القصاص الذي هو موت حياةً، باعتبار ما يؤول إليه من ارتداع الناس عن قتل بعضهم بعضاً، إبقاء على أنفسهم،

---

(١) التحرير والتنوير (١٩ / ١٧٣، ١٧٤). بتصرف .

(٢) انظر: التحرير والتنوير (٢٠/ ١١).

(٣) الفروق اللغوية ص ٤٨.

واستدامةً لحياتهم"[١].

ومن ذلك أيضا: التعبير بما يدل لازمه على المآل، مثل: ﴿ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ التوبة: ٩٤. فالإخبار برؤية الله ورسوله لعملهم في المستقبل مستعمل في الكناية عن الترغيب في العمل الصالح، والترهيب من الدوام على حالهم. والمراد: تمكنهم من إصلاح ظاهر أعمالهم[٢] وباطنها، وهذا نوع من النظر إلى المآل.

كما أن في الآية دلالة على أن رؤية الله للعمل يؤول إلى تحسينه مراعاة لنظره سبحانه، وكذلك إذا رأى الله العمل قبله وأثاب عليه، فليس المرادَ هو الرُّؤيةُ المجردة، بل المرادُ منه الجزاء على الأعمال، أي : فسيوصل لكم جزاء أعمالكم[٣] .

ومن ذلك أيضا ما جاء في قوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ البقرة: ٢١٦. فالكراهية هنا طبْعية لا تنافي التكليف؛ إذ لا يخلو تكليف عن مشقة، والكراهة إنما كانت باعتبار رؤيتهم لمضار القتال من إزهاق محتمل للأرواح وبذل جهد وغير ذلك من أعباء القتال ومشقته، وهذه أعباء ناتجة عن القتال في الظاهر المنظور، وهي مآلات جزئية قريبة.

والجزء الثاني من الآية يدل على أن الخيرية وعدم الخيرية في الأشياء تعرف بالمآلات والغايات، ولذلك قال:

---

(١) فتح القدير للشوكاني (١ / ٢٢٨).

(٢) التحرير والتنوير (١٠ / ١٨٣).

(٣) اللباب (١ / ٢٦٨٠).

﴿ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ فما علمه الله من الخير الذي وراء القتال وبذل الأرواح أعظم من المشقة التي ترى في الظاهر.

ومن التقريرات المآلية ما جاء في قوله تعالى: ﴿ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ ﴾ المائدة: ٣٢. فالقتل بهذه الصورة عنوان على إرادة سيئة لإفساد المجتمع وإيقاع الهلاك فيه، ولذلك كان بالمقابل إحياء النفس بمنزلة إحياء المجتمع كله، وليس المقصود بالإحياء إرجاعها بعد الموت. والخلاصة: أن من قَتل نَفسا بِغَير سَبَب مِن قِصَاص، أَو فَسَاد فِي الأَرضِ، واستحل قَتلها بلا سبب وَلَا جِنَايَة، فَكَأَنَّمَا قتل النَّاس جميعا؛ لأنّه لا فرق عنده بين نفس ونفس، ومن أحياها أي حرم قتلها، واعتقد ذلك؛ فقد سلم الناس كلهم منه بهذا الاعتبار[١]. فهذه مآلات معبر عنها بكلمتي القتل والحياة المذكورتين في الآية[٢].

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَقَوۡمَ نُوحٖ لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ أَغۡرَقۡنَٰهُمۡ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ لِلنَّاسِ ءَايَةٗۖ وَأَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمٗا ﴾ الفرقان: ٣٧. جعل تكذيب الواحد من الرسل كتكذيب الكل، وذلك لأن مآل التكذيب هو للرسالة وهي واحدة، وللمرسِل وهو واحد.

ومما هو من التقريرات المآلية المعللة قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ القصص: ٤. فالآية فيها تعبير عن علو فرعون وفساده وهو تعبير بما آل إليه أمره، وليس المراد العلو الوصفي الحسي المجرد، وإنما أراد مآل ذلك العلو الذي هو القتل والتكبر[٣]. وقد

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٣/٨٣) .

(٢) انظر: التحرير والتنوير(٥/ ٩٠)، (٩/ ٦٨).

(٣) انظر: مفاتيح الغيب (٢٤/٥٧٨).

كان فرعون يريد هذا الفساد في الأرض ليبقى على ملكه فلا يقوم في وجهه أحد، وهذا من مقتضيات كونه مفسدا[١].

المطلب الثاني: التعليلات المآلية

الفرع الأول: تعليل الأوامر والنواهي

وقد جاءت في القرآن الكريم تعليلات مآلية كثيرة في جانب الأوامر والنواهي وسنبين بعضا من ذلك كأمثلة لما قصدنا إليه من البحث.

أولا : من التعليلات المشتركة بين الأوامر والنواهي:

ومن ذلك: قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ الأنعام: ١٥٣. فالآية جمعت بين الأمر باتباع صراط الله والنهي عن السبل الباطلة، وبينت أن مآل اتباع سبيل الله الوصول إلى التقوى، وذلك مآل لا يدانيه مآل؛ إذ به سعادة الدارين[٢]، كما بينت أن مآل اتباع السبل الباطلة التفرق عن سبيل الله والبعد عن الجادة، وهذا يعرف من قوله تعالى: (فتفرق بكم عن سبيله) حيث يتبين أن التفرق مآل اتباع السبل الباطلة وهذا معناه أن اتباع سبيل الحق مآله الخير والصلاح.

وقد جاء هذا التعقيب بعد الآيات السابقة الجامعة الآمرة بالخير الناهية عن الشر، وهي قوله تعالى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ

---

(١) انظر: فتح القدير للشوكاني (٥/ ٣٨٦) .

(٢) انظر: تفسير المنار. تفسير القرآن الحكيم، محمد رشيد بن علي رضا، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ١٩٩٠ م. (١٧٥/٨)

إِحۡسَٰنٗاۖ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ١٥١ وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۖ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾ الأنعام: ١٥١ - ١٥٢.

وفي نهاية كل آية يعقب بحاصل مضمون الآية المآلي، ففي الأولى عقب بقوله: {لعلكم تعقلون} فالشرك، وعقوق الوالدين، وقتل الأولاد بسبب الفقر، منشؤه الجهل بما في الشرك من استهانة بالمنعم، وبما في الإساءة إلى الأبوين من مقابلة الإحسان بالإساءة، وبما في قربان الفواحش من متابعة الهوى، وبما في القتل من متابعة الغضب، وكلها أضداد العقل[1]. وفي الآية الثانية عقب بقوله {لعلكم تذكرون} ولأن التكاليف الخمسة المذكورة في الأولى أمور ظاهرة جلية فوجب تعقلها وتفهمها، وأما التكاليف الأربعة المذكورة في الآية الثانية فأمور خفية غامضة لا بد فيها من الاجتهاد والفكر حتى يقف على موضع الاعتدال فلهذا السبب قال: {لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}[2]، ثم ترتب حاصلا من مضمون الآيات الثلاث أنه من عقل وتذكر اتقى، والمتقون هم المفلحون[3]، وهذا هو المآل الذي ينبغي الوصول إليه من خلال التكاليف المذكورة، لأن التعقل والتذكر لا بد لهما من نتيجة وإلا كانا من غير فائدة إذا لم يؤولا بصاحبهما إلى التقوى والفلاح.

---

(1) انظر: محاسن التأويل عند تفسير الآيات في سورة الأنعام (٥٣٦/٤).

(2) مفاتيح الغيب (١٣ / ١٨١).

(3) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، للإمام: أبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الغرناطي، دار الكتب العلمية، بيروت.(١ / ٢٤٤) ،

ثانيا: من التعليلات المآلية في جانب الأوامر:

جاءت أوامر كثيرة معللة بمآلاتها، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ البقرة: ٢١. فعلل الأمر بالعبادة بما يصير إليه حال العابدين من التقوى.

وقوله: ﴿ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ البقرة: ٦٣. وهنا بين أن أخذ المعطَى بقوة – بما فيه من دلالة الفهم والوعي[1]– مع الذكر الدائم والاستحضار المستمر مآله التقوى.

وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ البقرة: ١٨٣. الآية بينت أن مآل الصوم التقوى، وذلك لأن الصوم يكسر الشهوة ويضعف نزواتها، وبذلك تقل المعاصي والسيئات، وهو عين التقوى.

وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ النساء: ٥٩. فطاعة الله ورسوله والتحاكم إليهما وردُّ الأمور إليهما عند التنازع، ذلك خير { وَأَحْسَنُ تَأْوِيلا} "أي: وأحسن عاقبة ومآلا كما قاله غير واحد"[2].

وقوله تعالى: ﴿ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ إِذَا كِلۡتُمۡ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ الإسراء: ٣٥. والمعنى: ذَلِكَ خَيْرٌ لكم في معاشكم ومعادكم؛ ولهذا قال: {وَأَحْسَنُ تَأْوِيلا }" أي: مآلا ومنقلبًا في آخرتكم "[3].

---

(1) انظر: التحرير والتنوير(١/ ٥٢٥).

(2) تفسير القرآن العظيم (٢ / ٣٤٦).

(3) تفسير القرآن العظيم (٥ / ٧٤).

وقوله تعالى: ﴿ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ﴾ فصلت: ٣٤ فيه بيان أن مآل الدفع بالحسنى تقارب الناس واهتدائهم إلى الحق والصواب.

إلى غير ذلك من الأوامر المعللة بالمآلات في القرآن الكريم.

ثالثا: من التعليلات المآلية في جانب النواهي:

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرۡجِعُهُمۡ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ الأنعام: ١٠٨. في الآية نهي عن سب آلهة المشركين لما يجره ذلك من سب لله تعالى من قبل المشركين . وإن كانت هناك مصلحة في سب آلهة المشركين إلا أنها لا تقارن بمصلحة الترك؛ للعلة المذكورة في الآية، وهذا من باب سد الذرائع فيما مآله معلوم أو شبه معلوم.

ومثله ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ ﴾ ﴿ وَلَا يَضۡرِبۡنَ بِأَرۡجُلِهِنَّ لِيُعۡلَمَ مَا يُخۡفِينَ مِن زِينَتِهِنَّۚ ﴾ النور: ٣١. فهذا من منع الطرق المؤدية إلى المآلات الفاسدة، حيث منع النساء من إبداء الزينة الخفية لغير من ذُكروا في الآية حتى لا يكون الإظهار لها سببا إلى الفساد، ومنعهن من الضرب بالأرجل وإن كان جائزا في نفسه لئلا يكون سببا إلى سمع الرجال صوت الخلخال فيثير ذلك دواعي الشهوة منهم إليهن[1]، وهذا المآلات معلوم فسادها، فنهين عن أسبابها. ومثل ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجۡعَلُواْ ٱللَّهَ عُرۡضَةٗ لِّأَيۡمَٰنِكُمۡ أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصۡلِحُواْ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴾ البقرة: ٢٢٤. في الآية نهي عن كثرة الحلف بالله حتى لا يؤول ذلك إلى الاستهتار باليمين وتنزع الهيبة عنه، وأما

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن قيم الجوزية، تحقيق : طه عبد الرءوف سعد. (دار الجيل، بيروت، ط ١٩٧٣م.(٣ / ١٣٧).

حصول البر والتقوى والإصلاح بين الناس من جراء ذلك فلأن من ترَك الحلف لاعتقاده أن اللّه تعالى أجل وأعظم أن يستشهد باسمه العظيم في مطالب الدنيا وخسائس مطالب الحلف، فلا شك أن هذا من أعظم أبواب البر، وأما معنى التقوى فظاهر أنه – أي المؤمن– أتقى أن يصدر منه ما يخل بتعظيم اللّه، وأما الإصلاح بين الناس فمتى اعتقدوا– أي الناس– في صدق لهجته، وبعده عن الأغراض الفاسدة فيقبلون قوله فيحصل الصلح بتوسطه[١]، فانظر إلى هذه المآلات الحميدة التي يومئ ذلك التعليل إليها. وصور التعليلات في المناهي كثيرة، وحسبنا ما بيناه.

الفرع الثاني: لام العاقبة

ولام العاقبة هي لام تأتي دلالتها لبيان المآل والنتيجة والمصير، وتسمى أيضا: لام المآل[٢]، وقد جاءت آيات كثيرة تدل على بيان المآل بها، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ البقرة: ١٨٨. والمعنى أن مآل إعطاء الرشاوى ومصيره هو أكل أموال الناس بالباطل.

ومن هذا الباب ما جاء في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْۚ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ الروم: ٣٣ - ٣٤. يجوز أن يكون

---

(١) مفاتيح الغيب (٦ / ٤٢٥).

(٢) الجنى الداني في حروف المعاني، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري، تحقيق: د/ فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ ،١٩٩٢م ص ٩٨. وغيره.

اللام لام الصيرورة أي فصار أمرهم كفرا، وهم لم يقصدوا بأفعالهم تلك أن يكفروا[١] .

وكما في قوله: ﴿ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴾ الكهف: ٧١. وهذه اللام لام العاقبة لا لام التعليل، كما قال الشاعر: لِدُوا لِلْمَوت وابْنُوا للخَرَاب[٢] .

وقوله: ﴿ ثَانِيَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ﴾ الحج: ٩. فهذه لام العاقبة؛ لأنه قد لا يقصُد الإضلال بعمله[٣].

وقوله: ﴿ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾ القصص: ٨.جاء عن المفسرين: أن "اللام" في قوله " ليكون" لام العاقبة لاَ لام التعليل؛ لأنهم لم يريدوا بالتقاطه ذلك"[٤]وإنما صار أمره وبالا عليهم، وجاء هذا الاختيار عن كثير من أهل اللغة[٥].

---

(١) المحرر الوجيز (٤ / ١٧٥).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٥ / ١٨٢). والبيت هي لأبي العتاهية، وبقية البيت: فكلكمُ يصير إلَى ذهَاب، انظر: الحماسة البصرية، علي بن أبي الفرج بن الحسن، البصري، تحقيق: مختار الدين أحمد عالم الكتب، بيروت (٤٢٧/٢)

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٩/ ٣٦٥).

(٤) تفسير القرآن العظيم (٦ / ٢٢٢).

(٥) منهم: ابن هشام في شرح شذور الذهب ص ٣٨٣ ،وفي شرح قطر الندى ص ٦٦، وفي مغني اللبيب ص ٢٨٢، والأشموني في شرحه على ألفية ابن مالك (٢/ ٨٠)، والسيوطي في همع الهوامع (٢/ ٤٥٥)، وغيرهم... قال النحاس في معاني القرآن: لما كان التقاطهم إياه يئول إلى هذا قيل التقطوه له، كما يقال لمن كسب ماله فأوبقه إنما كسبه ليهلكه. معاني القرآن الكريم: أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩ (٣/٣١٠).. وقال صاحب كتاب اللامات: لام الصيرورة دالة على العاقبة كما في قوله تعالى (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا). وهم لم يلتقطوه لذلك إنما التقطوه ليكون لهم فرحا وسرورا فلما كان عاقبة أمره إلى أن صار لهم عدوا وحزنا جاز أن يقال ذلك فدلت اللام على عاقبة الأمر. كتاب: اللامات، عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي

وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ﴾ يونس: ٨٨. اختلف في هذه اللام، وأصح ما قيل فيها أنها لام العاقبة والصيرورة[١]. قال في مغني اللبيب: ويحتمله – أي معنى الصيرورة والمآل– قوله: (ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك)[٢].

واللام في: {لِيُبْدِيَ} في قوله تعالى: ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴾ الأعراف: ٢٠. "هي لام العاقبة؛ وذلك أن الشيطان لا يعلم أن العصيان يفضي بهما إلى حدوث خاطر الشر في النفوس وظهور السوءات، فشبه حصول الأثر عقب الفعل بحصول المعلول بعد العلة"[٣].

ومثلها اللام الأولى في كلمة: { ليجعل} في قوله تعالى:﴿ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ آل عمران: ١٥٦. والمعنى: لتصير عاقبتهم إلى أن يجعل اللّه جهاد المؤمنين وإصابة الغنيمة أو الفوز بالشهادة حسرة في قلوبهم[٤].

والأمثلة في هذا كثيرة.

وقد أورد الإمام ابن تيمية رحمه الله اعتراضا على تسمية مثل اللام المذكورة في الأمثلة

الزجاجي، أبو القاسم، تحقيق: مازن المبارك، دار الفكر، دمشق الطبعة: الثانية، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م، ص ١١٩. وقد مر ذكر الخلاف في لام العاقبة عند الحديث عن المقاصد فيرجع إليه.

(١) الجامع لأحكام القرآن (٨ / ٣٧٤).

(٢) مغني اللبيب ص ٢٨٢.

(٣) التحرير والتنوير (٨ / ٤٤).

(٤) التفسير المنير(٤/١٣٤)

السابقة لام العاقبة وإنما يسميها لام كي ولام التعليل، التي إذا حذفت انتصب المصدر المجرور بها على المفعول له، وتسمى العلة الغائية، وهي متقدمة في العلم والإرادة، متأخرة في الوجود والحصول، وهذه العلة هي المراد المطلوب المقصود من الفعل[١]. قال: ولام العاقبة لا تأتي في حق الله الذي يعلم كل شيء وإنما تأتي في حق الجاهل الذي لا يعرف عواقب الأمور، وأما من هو بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير فيستحيل في حقه دخول هذه اللام وإنما اللام الواردة في أفعاله وأحكامه لام الحكمة والغاية المطلوبة[٢] .

وهذا الخلاف مبني على مسألة تعليل أفعال الله من عدمه، ولكن القصد من الاستدلال بالآيات السابقة هو أن الله تعالى في كلامه يعتبِر المآلات والغايات، من غير نفي الحكمة في أفعال الله تعالى بما تقرر من كلام، ولكن نبين أيضا أن القرآن الكريم يبين العاقبة بواسطة اللام المذكورة – التي ذكر ابن تيمية أنها متأخرة في الحصول–، وذلك واضح من خلال الاستدلال في الآيات، إذ ليس المقصود وقوع المآلات بغير علم مسبق.

الفرع الثالث: ألفاظ وأساليب فيها تعليلات مآلية

أولا: ألفاظ فيها تعليل:

جاءت ألفاظ في القرآن الكريم واضحة في التعليل المآلي وصريحة فيه، وهي غير ما ذكرنا سابقا من الألفاظ، فالمراد هنا الألفاظ التي فيها تعليل عمل معين وهي ترتبط به، مع دلالة هذا التعليل على المآل، من ذلك:

---

(١) دقائق التفسير الجامع لتفسير(٢/٥٢٨)

(٢) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل. تأليف: ابن قيم الجوزية، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.(٢٣/٢٩).

- لفظ " لعل" التي للتحقيق، وقد سبق أن مثلنا لها سابقا في قوله تعالى: (لعلكم تتقون، ولعلكم تعقلون ..) وغيرها.
- لفظ " من أجل " كما في قوله تعالى: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾ المائدة: ٣٢. فالكتابة على بني إسرائيل بما هو مذكور كان نتيجة لمثل تلك الحادثة المذكورة في الآيات[1].
- لفظ " عسى" كما في قوله تعالى: ﴿ فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ النساء: ٨٤ .

ثانيا: أساليب فيها تعليل: ومن ذلك :

- التعليل المفهوم من أسلوب الشرط، مثل قوله تعالى ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ البقرة: ٩٨. وقوله تعالى: ﴿ وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ الإسراء: ٧٢. فالشرط في الآية الأولى يبين أن مآل عداوة الله وملائكته ورسله هو اكتساب عداوته سبحانه، كما أن هذه العداوة تؤول إلى الكفر. وفي الآية الثانية بيان أن العمى في الآخرة مترتب على العمى في الدنيا.
- التعليل المفهوم من دليل التمانع، مثل قوله تعالى: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴾ الإسراء: ٤٢. في الآية بيان أنه لو كان معه

---

(1) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٤٥/٦) وغيره.

آلهة لآل أمر تلك الآلهة إلى التزلف إلى الله ذي العرش، أو إلى المغالبة له[١].

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ الأنعام: ٩. أي لآل الأمر إلى الالتباس عليهم.

وقوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ الكهف: ١٠٩. أي لآل الأمر إلى نفاد البحر. وقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ الأنبياء: ٢٢. أي لآل الأمر إلى فساد السماوات والأرض.

ولو تتبعنا الأساليب الكلامية لوجدنا كثيرا من التعليلات المآلية.

المطلب الثالث: إطلاقات عامة تقتضي النظر المآلي

وفي هذا المطلب سوف أذكر صورا من تعبير القرآن عن المآلات، كقواعد عامة، عبر عنها القرآن في مناسبات متنوعة، وسأجمل معانيها بصورة قواعد مستنبطة من النصوص القرآنية، ومن ذلك ما يلي:

- العبرة بالنتيجة والمآل وليس بالتصور الشخصي للأمور، مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ البقرة: ١١ - ١٢. فهم يظنون أنهم مصلحون في حين أن مآل أعمالهم الفساد كما قررت الآية، فهم فاسدون يعرف ذلك من خلال مآل أعمالهم. وكما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ﴾ البقرة: ١١٤. فالآية قررت أنه

---

(١) فتح القدير (٣/٢٧٣).

لا أحد أظلم من الذي يمنع الذكر والعبادة في المساجد، وذلك لأن مآل منع الذكر في المساجد هو تعطيلها، وذلك يعتبر خرابا لها.

– إصدار الأحكام على الأعمال يرتبط بالمآل، نفهم ذلك من قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ الأعراف: ٣٢. في الآية بيان أن تحريم الطيبات مآله سيئ على الناس لأنه يؤدي إلى المشقة عليهم.

– النهي عن المآل الفاسد نهي عن أسبابه المؤدية إليه، وذلك كما قال تعالى: ﴿ وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ البقرة: ١٩٥. الآية أمرت بالإنفاق في سبيل الله وأشارت إلى أن التمسك بالدنيا مآله الهلاك والخسار، فنهت عن أن يوقع الإنسان نفسه في المآل السيئ، ولذلك فمن مقتضيات ذلك عدم التمسك بأسباب الدنيا بصورة تؤدي إلى المنهي.

– المآل يعرف بأسبابه، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ البقرة: ٦ - ٧. فالختم على القلوب والسمع والأبصار كان سببا في عدم انتفاعهم، ولذلك فإن معرفتنا المسبقة بأنهم لن ينتفعوا، تخفف علينا كثيرا من المعاناة معهم. ومثلها قوله تعالى: ﴿ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ المنافقون: ٦. ففسقهم كان سببا لعدم المغفرة لهم. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴾ غافر: ٣٤. فالشك والإسراف فيه كان سببا لإضلالهم.

– ويلحق بالصورة السابقة القول: بأن الحكم على الشيء بالمآل السيء يكون من خلال مقدماته، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا دُعَاءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴾ الرعد: ١٣ - ١٤. وكما قال تعالى: ﴿ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴾ غافر: ٢٥. فدعاء الكافرين وكيدهم مضمحل ولا طائل من ورائه، لأن الله لا يستجيب للكافر، ولأن الكافر أيضا لا يمكن أن يكون كيده أعظم من قدرة الله، وهذه مقدمات دلت على صورة المآل.

– المآلات قد تفهم من خلال عمومات الشرع والوقائع، كما نفهم ذلك — مثلا – من قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ النساء: ٥٨. فأداء الأمانة في مثل هذه الصورة يؤدي إلى إيجاد حكام صالحين، والحكام الصالحين يقيمون العدل. كما أن في الآية دلالة على أن مآل أداء الأمانات إلى أهلها رشاد الأمة وفلاحها، وفي إقامة العدل قيام للحق واستقامة في الحياة.

– قد يعبر عن المآل بصورة مباشرة ظاهرة التحقق إذا توفرت الأسباب القطعية، كما يفهم ذلك من قوله تعالى: ﴿ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ﴾ الأعراف: ٧١. ومثله قوله تعالى: ﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ النحل: ١. فهنا جعل الشيء الذي لا بد من وقوعه بمنزلة الواقع، لأنه واجب الوقوع[1]، ومآله متحقق.

– قد يسمى الشيء بما يؤول إليه[2]، كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ

---

(1) مفاتيح الغيب(١٤ / ٣٠٣)، (١٩ / ١٦٨).

(2) تيسير البيان لأحكام القرآن، محمد بن علي الموزعي، تحقيق: أحمد يحي المقري. رسالة دكتوراه من جامعة أم القرى، ط/ ١٤١٨هـ.(١/ ٢٠٠).

مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ ﴾ البقرة: ١٧٤. وقوله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ النساء: ١٠. فهم في الحقيقة لا يأكلون النار، ولكن جاء هذا التعبير من باب تسمية الشيء بما يؤول إليه، حيث إن فعلهم — في الحالتين المذكورتين – يؤدي بهم إلى النار، ويوجب عليهم عذابها، فسمى ما أكلوه ناراً لأنه يؤول بهم إليها، هكذا قال كثير من المفسرين[١]، وكذلك تسمية أخذ المال على كل وجوهه أكلا؛ لأن المقصود الأعظم بأخذ المال هو الأكل وبه أكثر إتلاف الأشياء[٢].

ومثل هذا قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ ﴾ يوسف: ٣٦. أي عنباً تسمية للعنب بما يؤول إليه؛ لكونه المقصود من العصر[٣].

وقد نجد لهذا الباب أمثلة كثيرة في القرآن الكريم، ولكن لا نريد الإطالة فالمقصود التمثيل.

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٢٣٥) و فتح القدير (١ / ٢٢٢). وغيرهما.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٥ / ٥٣).

(٣) مدارك التنزيل (٢ / ٦٧) وإرشاد العقل السليم (٣ / ٤٣٢).

الخاتمة

وفيها النتائج والتوصيات

أولا: النتائج:

١/ لم تأت كلمة المآلات في القرآن الكريم بهذا اللفظ، إنما جاء معنى المآل في ألفاظ مشتقة من الكلمة، منها: تأويلا، موئلا.

٢/ هناك فرق بين المقاصد والمآلات من حيث المفهوم، ومن حيث العموم والخصوص. كما أن المآل قد يقع بخلاف المقصد.

٣/ القصد الجازم والنية المعقودة لهما اعتبار في الشرع من حيث الثواب والعقاب، ولو كان المآل بخلافهما.

٤/ المآلات لا تعتبر قبل وقوعها ولا يجازى صاحبها إلا على وقوعها ولو كانت خلاف القصد والنية.

٥/ المآلات هي غايات الأعمال وإن لم تكن مقصودة عند العامل وقت ابتداء العمل، أو كانت مجهولة له، والحكم على الأعمال بنتائجها.

٦/ المآلات تتنوع بحسب المقاصد والأسباب.

٨/ ليست معرفة المآلات رجما بالغيب، وإنما تعرف وفقا لمقدمات تقتضيها وأسباب توصل إليها، ولكن قد تتخلف تلك المآلات فلا تأتي وفق المقدمات والأسباب.

٩/ بين المآلات والذرائع وسد الذرائع صلة عظيمة، فالذرائع طرق يتوصل بها إلى المآلات، وإذا كانت الذرائع موصلة إلى مآل صالح قبلت، وإذا كانت المآلات فاسدة سدّت تلك الذرائع المؤدية إليها.

١٠/ هناك صلة كبيرة بين المآلات والموازنات والأولويات، فمعرفة المآل يؤثر في تقديم وتأخير بعض الأمور على بعض.

١١/ الأعمال الصالحة تتفاوت بحسب مآلاتها وليست كلها في رتبة واحدة .

١٢/ تقع الموازنات حتى بين المآلات نفسها، فتقدم المآلات الراجحة على المظنونة، في جهتي الصلاح والفساد.

ثانيا: التوصيات:

من التوصيات التي أريد تسجيلها هنا، ما يلي:

١/ ضرورة البحث في مثل هذا الموضوع من خلال القرآن الكريم، وتجلية هدايات القرآن من خلال التأصيل لقضايا تهم الأمة.

٢/ الاستفادة من هذا الموضوع وأمثاله في التربية والتوعية بمبادئ الدين الإسلامية الحنيف، وأنه دين يراعي مصالح الناس في دنياهم وتصرفاتهم.

المصادر والمراجع

- أحكام القرآن. القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا. دار الفكر، لبنان.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى : ٩٨٢هـ) ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت، لبنان، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م .
- اعتبار المآلات ونتائج التصرفات < دراسة مقارنة في أصول الفقه ومقاصد الشريعة > لعبد الرحمن بن معمر السنوسي، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢٤هـ..
- إعراب القرآن للنحاس، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت
  الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ
- إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش، دار الإرشاد للشئون الجامعية، حمص، سورية، (دار اليمامة ، دمشق ،بيروت) ، (دار ابن كثير - دمشق - بيروت). الطبعة : الرابعة، ١٤١٥ هـ .
- إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن القيم الجوزية، تحقيق : طه عبد الرءوف سعد. دار الجيل - بيروت، ط ١٩٧٣م،
- الإتقان للسيوطي ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م.
- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، علي بن محمد بن عيسى، أبو الحسن، نور الدين الأُشْمُوني، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، الطبعة: الأولى ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.
- الأصول العامة والقواعد الجامعة للفتاوى الشرعية، جمع : الدكتور حسين بن عبد العزيز آل الشيخ، إمام وخطيب المسجد النبوي الشريف، والقاضي بالمحكمة الشرعية بالمدينة النبوية ١٤٢٦ هـ .
- البحر المحيط في أصول الفقه للزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي،دار الكتبي، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- البحر المحيط، للعلامة أبو حيان الأندلسي، طبعة دار الفكر. ١٤٢٠هـ.
- البرهان في علوم القرآن، لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)

تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه.

- التبيان في إعراب القرآن ، للعكبري. تحقيق : علي محمد البجاوي، الناشر : عيسى البابي الحلبي وشركاه.
- التحرير والتنوير«تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس.
- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د/ وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر – دمشق، الطبعة : الثانية ، ١٤١٨ هـ.
- التفسير والمفسرون، الدكتور محمد السيد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة .
- التقرير والتحرير في علم الأصول. ابن أمير الحاج ، محمد بن محمد (المتوفى : ٨٧٩هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- الجامع الصحيح المسند، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى : ٢٥٦هـ)،حسب ترقيم فتح الباري، دار الشعب – القاهرة، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- الجامع في أسباب النزول، جمع وترتيب وتحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، طبعة مؤسسة الرسالة،ط١، ٢٠١٠م.
- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى : ٦٧١ هـ)، تحقيق : سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، طبعة: ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م.
- الجمل في النحو للخليل بن أحمد الفراهيدي ، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، الطبعة: الخامسة، ١٤١٦هـ ١٩٩٥م.
- الجنى الداني في حروف المعاني، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري، تحقيق: د/ فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ ،١٩٩٢م.
- الحماسة البصرية، علي بن أبي الفرج بن الحسن، البصري، تحقيق: مختار الدين أحمد، عالم الكتب، بيروت .
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ، ١٩٨٧ م.
- العدة في أصول الفقه، للقاضي أبو يعلى (المتوفى : ٤٥٨هـ)، حققه وعلق عليه وخرج نصه : د أحمد بن علي بن سير المباركي، الأستاذ المشارك في كلية الشريعة بالرياض- جامعة الملك محمد بن سعود الإسلامية،

بدون ناشر، الطبعة الثانية ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.

- الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري، تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، نشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم»، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ ص٢٨١.
- الفروق، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (المتوفى: ٦٨٤هـ)، عالم الكتب.
- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- اللامات، عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي، أبو القاسم، تحقيق: مازن المبارك، دار الفكر، دمشق الطبعة: الثانية، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م، ص ١١٩.
- اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م.
- المحرر الوجيز ، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى : ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط١، دار الكتب العلمية - لبنان - ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت .
- المعجم الوسيط. إبراهيم مصطفى . أحمد الزيات . حامد عبد القادر . محمد النجار،: دار الدعوة، تحقيق : مجمع اللغة العربية.
- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق بيروت.
- المقاصد عند الإمام الشاطبي دراسة أصولية فقهية، تأليف: محمود عبد الهادي فاعور، الناشر: بسيوني للطباعة، صيدا، لبنان. الطبعة: الأولى ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- الموافقات في مقاصد الشريعة، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى : ٧٩٠هـ)، تحقيق: أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة : الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
- النكت والعيون، لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي، تحقيق: السيد بن عبد المقصود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي و محمود محمد الطناحي.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ .
- بصائر ذوي التمييز. مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.
- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمّد بن عبد الرزّاق، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية .
- تفسير ابن أبي زمنين، تأليف: أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة - محمد بن مصطفى الكنز، دار النشر: الفاروق الحديثة - مصر/ القاهرة، ط١، - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- تفسير الشعراوي. (الخواطر) محمد متولي الشعراوي (المتوفى : ١٤١٨هـ)
- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة : الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.
- تفسير اللباب لابن عادل. أبو حفص عمر بن على ابن عادل الدمشقي الحنبلي المتوفى بعد سنة ٨٨٠ هـ، دار النشر / دار الكتب العلمية . بيروت.
- تفسير المنار. (تفسير القرآن الحكيم)، محمد رشيد بن علي رضا (المتوفى : ١٣٥٤هـ)، نشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ١٩٩٠ م.
- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري، محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى : ١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة : الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لمحمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط١/ مؤسسة الرسالة. ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
- جامع العلوم في اصطلاحات الفنون (دستور العلماء). القاضي عبد رب النبي بن عبد رب الرسول الأحمد نكري، عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص. دار الكتب العلمية، لبنان /ط١، بيروت، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
- حروف المعاني والصفات، عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي، تحقيق: علي توفيق

الحمد، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٤م.

- دفع إيهام الاضطراب عن معاني آيات الكتاب لمحمد الأمين الشنقيطي، وكيف نتعامل مع القرآن، للقرضاوي، وغيرها.
- دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق : د. محمد السيد الجليند. مؤسسة علوم القرآن – دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للألوسي، تحقيق: على عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت،ط: ١٤١٥ هـ.
- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (المتوفى: ٧٦١هـ)، تحقيق: عبد الغني الدقر، الناشر: الشركة المتحدة للتوزيع – سوريا.
- شرح قطر الندى وبل الصدى، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (المتوفى: ٧٦١هـ)

تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، الطبعة: الحادية عشرة، ١٣٨٣.

- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل. تأليف: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.
- علم المقاصد الشرعية، نور الدين بن مختار الخادمي، الناشر: مكتبة العبيكان، الطبعة: الأولى ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، المؤلف : محمد بن علي الشوكاني. دار الفكر، بيروت.
- فقه الأولويات، دراسة جديدة في ضوء القرآن والسنة، للدكتور يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، الطبعة الثامنة ٢٠٠٨م.
- في الاجتهاد التنزيلي: الدكتور بشير بن مولود جحيش (كتاب الأمة) رقم: ٩٣، المحرم ١٤٢٤هـ، السنة الثالثة والعشرون، من تقديم الاستاذ: عمر عبيد حسنة.
- في ظلال القرآن . سيد قطب إبراهيم. (رحمه الله)، دار النشر : دار الشروق . القاهرة.
- كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي. المؤلف : عبد العزيز بن أحمد بن محمد، علاء الدين البخاري (المتوفى : ٧٣٠هـ)، تحقيق: عبد الله محمود محمد عمر، الناشر : دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة : الطبعة الأولى ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
- لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، تحقيق:

محمد على شاهين. دار الكتب العلمية . بيروت، ١٤١٥هـ.

- لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي ابن منظور، دار صادر ، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٤ هـ.
- لطائف الإشارات، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، الطبعة: الثالثة.
- لمسات بيانية لسور القرآن الكريم. الدكتور فاضل صالح السامرائي. دار عمار للنشر والتوزيع، عمان – الأردن
- مباحث في علوم القرآن، لمناع القطان، طبعة مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.
- مجموع الفتاوى، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، نشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
- محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي. لمحقق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ.
- مدارك التنزيل وحقائق التأويل، لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى،١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م.
- معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: محمد النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة : الرابعة، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.
- معاني القرآن الكريم: أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي .
- معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي، حامد صادق قنيبي، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع،ط٢،١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.
- معجم مقاييس اللغة. أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، المحقق : عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، الطبعة : ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (المتوفى: ٧٦١هـ)

تحقيق: د. مازن المبارك / محمد علي حمد الله، دار الفكر – دمشق، الطبعة: السادسة، ١٩٨٥.

- مفاتيح الغيب. لمحمد بن عمر المعروف بفخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي . بيروت، ط٣/ ١٤٢٠هـ.
- مقاصد الشريعة الإسلامية، للدكتور: زياد محمد احميدان، مؤسسة الرسالة ناشرون، ط١، ٢٠٠٨م.
- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، المؤلف : الإمام الحافظ العلامة أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الغرناطي، دار الكتب العلمية . بيروت.
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، عبد الرحمن السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية – مصر.